احذروا الغفلة

دراسة لمواضع الغفلة في القرآن الكريم
ومعالجتها من منظور تربوي إسلامي

د/ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

اِحْذَرُوا الْغَفْلَةَ

دِرَاسَةٌ لِمَوَاضِعِ الْغَفْلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَمُعَالَجَتِهَا مِنْ مَنْظُورٍ تَرْبَوِيٍ إِسْلَامِي

د / عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ⓒ عبد الرحمن سعيد الحازمي ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي ، عبد الرحمن سعيد
احذروا الغفلة : دراسة لمواضع الغفلة في القرآن الكريم ومعالجتها من منظور تربوي اسلامي. / عبد الرحمن سعيد الحازمي .- الطائف ، ١٤٣١هـ

١٤٣ ص ؛ ٢٥ × ١٧,٥ .. سم

ردمك : ١- ٤٩٣٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣١/٣٢٤٩

رقم الإيداع : ١٤٣١/٣٢٤٩
ردمك : ١- ٤٩٣٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] (مريم : ٣٩).

وقال تعالى : [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (هود : ١٢٣).

وقال تعالى : [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ] (الأنعام : ١٥٥ - ١٥٦).

وقال تعالى : [وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ] (القصص : ١٥).

وقال تعالى : [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا] (الكهف :٢٨).

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيم

قائمة المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
قائمة المحتويات.	٣
المقدمة.	٥
الفصل الأول : تمهيدي : (مصطلحات الدراسة، أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة، أنواع الغفلة في القرآن الكريم، أقسام الغفلة، أقوال بعض السلف – رحمهم الله – حول التغافل).	١١
الفصل الثاني : أهمية التوحيد والإيمان بالله تعالى.	٢٣
الفصل الثالث : معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره.	٤٥
الفصل الرابع : العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي.	٧٥
الفصل الخامس : الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء.	٩٥
الفصل السادس : العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين.	١١١
الفصل السابع : الخاتمة – شكر وتقدير.	١٢٩
شكر وتقدير	١٣٧
قائمة المصادر والمراجع	١٣٩

مقدمة

الحمد الله فاطر السموات والأرض خلق الخلق لعبادته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الله تعالى خلق الإنسان و شرفه وأعلى مكانه وكرمه على سائر المخلوقات بكرامات وفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، فقال تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا][1].

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره : إن الله تعالى في هذه الآية الكريمة يُخبر عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا يفقه بذلك كله، وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية، وحملهم في البر على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، وفي البحر على السفن، ورزقهم من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها

---

(١) الإسراء : ٧٠.

وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي[1].

وبهذا التكريم الرباني العظيم للإنسان أوجب الله تعالى عليه وشرَّفه بعبادته، فقال تعالى : [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ][2]

وذلك وفق أوامر ونواه واضحة غاية الوضوح، ووفق منهج شرعي رباني جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم.

ولذلك يجب على الإنسان المسلم تحديداً الالتزام الكامل بهذا المنهج الرباني الكريم (قرآناً وسنة)، وأن يبذل كل طاقته في عبادة ربه والقيام بالواجبات الشرعية على أكمل وجه، فيؤدي المفروضات ويحرص على أداء النوافل، ويستغل كل أوقاته في أداء شرائع ربه عز وجل حتى يكون نومه ويقظته عبادة لله تعالى فلا يرى منه الله جل وعز إلاّ كل فعل خير، فيجده حيث أمره ولا يجده حيث نهاه.

وهذا الكمال البشري في حقيقته مثالي وعزيز إلا على من رحم ربي ووفق كل التوفيق له، وفي بعض الأحيان بحكم ضعف الإنسان

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٩٧.

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٦.

وقصوره البشري الذي يجعله في حالة من الغفلة والإعراض عن الله تعالى المنعم المتفضل عليه ؛ غفلة وإعراضاً يتسع مداها إلى الشرك والبعد عن سبحانه وتعالى بالكلية والعياذ بالله جل جلاله، أو غفلة وإعراضاً عن تعظيم الله سبحانه وتقديره حق قدره، أو غفلة عن العناية بالقرآن الكريم وذكر الله عز وجل، أو غفلة عن حسن التعامل مع الآخرين إلى غير ذلك من أنواع الغفلة والإعراض التي ذكرها القرآن الكريم.

لذلك فإن الناظر والمتأمل في آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع الغفلة يجدها أشارت إلى أنواع متعددة من الغفلة التي تصيب الإنسان، ولأهمية الموضوع حيث إنه يمس عبودية الله عز وجل وتعظيم جلاله سبحانه وتعالى، فقد شَرعت بتوفيق الله تعالى في الوقوف على جميع الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها لفظة الغفلة واشتقاقاتها وخلصت من خلالها إلى دراسة سميتها ابتداءً : ((الْغَفْلَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُعَالَجَتِهَا مِنْ مَنْظُورٍ تَرْبَوِيٍ إِسْلَامِي)).

ولعل القارئ الكريم يسأل عن اختلاف العنوان عما تم تسميته آنفاً، فأوضح له : إن الله تعالى أكرمني برؤية شاهدت فيها معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد في المنام ذات ليلة وهو يقول : حبذا تغيير العنوان ليصبح ((**اِحْـــذَرُوا الْغَفْلَـــةُ**)).

ووجدت لهذا التغيير ارتياحاً وقبولاً في نفسي، ثم شرعت في تغيير العنوان بحسب هذه الرؤية وتقابلت مع معاليه في مكتبه في محافظة جدة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٣/ ٦ / ١٤٣٠هـ، وعرضت عليه الرؤية وتبسم وأيَّد هذا العنوان بحسب الرؤية، فقلت لمعاليه: إذاً اتفقت بحمد الله تعالى اليقظة مع الرؤية فقال : نعم وأرى في العنوان جذباً وشداً لانتباه القارئ.

ثم قال لي معاليه - حفظه الله - : إن بعض كتب السلف عنوانها بسبب رؤية، وذكر معاليه : إن من ذلك على سبيل المثال : موطأ الإمام مالك، والموافقات للشاطبي. فقلت لمعاليه : ولكن أين أنا من هؤلاء والله المستعان ؟؟!! نسال الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

فجزى الله معاليه خيراً على تشجيعه ودعمه وتوجيهاته ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

وبعون الله تعالى قُسِّمت الدراسة إلى مقدمة وسبعة فصول جاءت على النحو الآتي :

الفصل الأول : تمهيدي ويتضمن : (مصطلحات الدراسة، أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة، أنواع الغفلة في القرآن الكريم، أقسام الغفلة، أقوال بعض السلف - رحمهم الله - حول التغافل).

الفصل الثاني : أهمية التوحيد والإيمان بالله تعالى.

الفصل الثالث : معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره.

الفصل الرابع : العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي.

الفصل الخامس : الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء.

الفصل السادس : العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين.

الفصل السابع : الخاتمة وشكر وتقدير.

وسيتضمن كل فصل بإذن الله تعالى أربعة محاور رئيسة هي :

الأول : تمهيد.

الثاني : ذكر الآيات التي وردت فيها الغفلة بحسب موضوعها.

الثالث : المضامين التربوية للآيات الكريمات حسب موضوعها.

الرابع : الخلاصة.

سائلاً الله تعالى لهذه الدراسة القبول والفائدة، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ألقاه عند ربي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفصل الأول : تمهيدي

يتضمن هذا الفصل ما جرت عليه العادة في الأبحاث والدراسات العلمية التي تخصصه لخطة البحث، وبعض المباحث المهمة ذات العلاقة بالدراسة، ويتضمن : (مصطلحات الدراسة، أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة، أنواع الغفلة في القرآن الكريم، أقسام الغفلة، أقوال بعض السلف - رحمهم الله - حول التغافل).

أولاً : مصطلحات الدراسة :

هناك بعض المصطلحات المهمة التي تضمنتها الدراسة، ويجب إيضاحها للقارئ الكريم حتى لا تحدث لبساً لديه ويتضح المقصود منها بإذن الله تعالى.

أ - المعنى اللغوي والاصطلاحي للغفلة.

١ - المعنى اللغوي للغفلة.

غَفَلَ عنه غُفولاً : تَرَكَهُ وسَها عنه كأَغْفَلَهُ، أو غَفَلَ صارَ غافلاً وغَفَلَ عنه، والتَّغافُلُ والتَّغَفُّلُ تَعَمُّدُه[1].

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (غفل)، ج ٣، ص ١٤٢.

الْغَفْلَةُ : غَيْبَةُ الشَّيْءِ عَنْ بَالِ الْإِنْسَانِ وَعَدَمُ تَذَكُّرِهِ لَهُ، وَقَدْ اُسْتُعْمِلَ فِيمَنْ تَرَكَهُ إِهْمَالًا وَإِعْرَاضًا[1] كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى : [وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ][2]

غَفَلَ عنه يَغْفُلُ غُفولاً وغَفْلةً وأَغْفَلَه عنه غيرُه، وأَغْفَلَه تركَه وسها عنه، وأَغْفَلْتُ الرجل أَصبْتُه غافلاً[3]. وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل : [ولا تُطِعْ من أَغْفَلْنا قلْبَه عن ذِكْرِنا][4]

غفل عن الشيء غفولاً وغفلة سها من قلة التحفظ والتيقظ، والشيء تركه إهمالاً من غير نسيان فهو غافل[5].

٢ - المعنى الاصطلاحي للغفلة.

بالنظر والتأمل يمكن القول أن المعنى الاصطلاحي للغفلة لا يختلف عن المعنى اللغوي ؛ إذ يقصد به هنا قلة التحفظ أو ترك الشيء إهمالاً.

ب : المضامين التربوية.

---

(١) الفيومي الفيومي، المصباح المنير، مادة (غفل)، ج ٧، ص ٤٧

(٢) الأنبياء : ١.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، مادة (غفل)، ج ١١، ص ٤٩٧.

(٤) الكهف : ٢٨

(٥) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط، مادة (غفل)، ج ٢، ص ٤٧١.

يقصد بها : التوجيهات التربوية المستنبطة من الآيات الكريمات التي وردت فيها لفظة الغفلة بمختلف اشتقاقاتها.

جـ : حدود الدراسة.

اقتصرت هذه الدراسة على الآيات الكريمات التي جاءت فيها لفظة الغفلة فقط باشتقاقاتها المختلفة.

ثانياً : أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة.

وهناك تعريفات متعددة للغفلة عند علماء التفسير - أثابهم الله - حين تطرقوا لتفسير الآيات الكريمات التي وردت فيها كلمة الغفلة، ومن هذه التعريفات ما يلي :

القول الأول : أورد ابن عاشور - رحمه الله - في تفسيره التحرير والتنوير بعض التعريفات للغفلة عند تفسيره للآيات التي وردت فيها لفظة الغفلة، وهي :

١ - الغفلة : عدم الشعور بما يحقق الشعور به[١].

٢ - الغفلة : انصراف العقل والذهن عن تذكر شيء بقصدٍ أو بغير قصد[٢].

---

(١) الأعراف : ١٧٩، ج ٦، ص ١٩.

(٢) الأعراف : ١٤٦، ج ٥، ص ٤٥٩.

٣- الغفلة : الذهول عن شيء شأنُه أن يُعلم[١].

٤- الغفلة : انتفاء العلم لعدم توجّه الذهن إلى المعلوم[٢].

٥- الغفلة : صريحها الذهول عن شيء وعدم تذكره، وتأتي بمعنى: الإهمال والإعراض عما يحق التنبيه إليه[٣].

٦- الغفلة : الذهول عن الشيء وعن طرق علمه[٤].

القول الثاني : أورد البقاعي - رحمه الله - في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور التعريف التالي :

الغفلة : فقد الشعور بما حقه أن يُشعر به[٥].

القول الثالث : أورد ابن عادل - رحمه الله - في تفسيره اللباب التعريف التالي :

الغافل : الذي لا يفطن إلى الأمور إهمالاً منه مأخوذ من الأرض الغُفْل، وهي التي لا عَلَم لها ولا أثر عمارة[٦].

---

(١) مريم : ٣٩، ج ٨، ص ٤٧٧.

(٢) يوسف : ٣، ج ٧، ص ٢٢٤.

(٣) يس : ٦، ج ١٢، ص ٨.

(٤) الأنبياء : ١، ج ٩، ص ١٢٢.

(٥) البقرة : ٧٤، ج ١، ص ١٢٧.

(٦) البقرة : ١٤٠، ج ٢، ص ١٤٥.

القول الرابع : أورد طنطاوي - يحفظه الله - في تفسيره الوسيط التعريف التالي :

والغفلة : سهو يعتري الإِنسان بسبب قلة تيقظه وانتباهه[1].

ومن تأمل كل هذه التعريفات المشار إليها يتضح أنها متقاربة في مدلولاتها وإن اختلفت بعض ألفاظها وهي كما قيل : اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد بحيث يكون المقصود من الغفلة هو : ***السهو وعدم التفطن للأمور التي من شأنها أن يُهتم بها ويُفطن إليها*** .

ثالثاً : أنواع الغفلة في القرآن الكريم.

ورد في القرآن الكريم خمس وثلاثون آية كريمة فيها لفظة الغفلة بكافة اشتقاقاتها، وبعد النظر والتأمل فيها والرجوع إلى جملة من كتب التفسير واستشارة بعض المختصين وجدتها تضمنت عدة أنواع، وهي :

١ - غفلة شديدة عن توحيد الله تعالى والإيمان به.

٢ - غفلة عن معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره.

٣- غفلة عن العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى.

٤ - غفلة عن حسن التعامل مع الآخرين.

٥ - غفلة عن الاستعداد والحذر من الأعداء.

---

(١) إبراهيم : ٢٤٤٣، ج ١، ص ١٤٥.

رابعاً : أقسام الغفلة.

يمكن تقسيم الغفلة حسب نية الغافل، ويُعبر عنها بالآتي :

١ - غفلة مقصودة، وهي التي يصر صاحبها على عدم التوحيد والإيمان بالله تعالى وكل ما يؤدي إلى رضا الله تعالى من قول وفعل، وهي عادة تحدث من الكفار والمشركين وفساق المسلمين الذين طبع الله تعالى على قلوبهم الزيغ والضلال واستحقوا من الله تعالى العقاب وبئس المصير.

٢ - غفلة غير مقصودة، وهي التي تحدث من صاحبها القصور والزلل من غير قصد، وإذا ذُكِّر بالحق والطريق المستقيم آب ورجع بكل يسر وسهولة، وهذا ما يقع فيه أكثر المسلمين.

ويقول ابن عاشور - رحمه الله - : وأكثر استعماله في القرآن الكريم فيما كان عن قصد بإعراض وتشاغل، والمذموم منها ما كان عن قصد وهو مناط التكليف والمؤاخذة، فأما الغفلة عن غير قصد فلا مؤاخذة عليها[1].

وهناك تقسيم آخر للغفلة حسب الفعل، ويُعبر عنها بالآتي :

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٤٥٩.

١- غفلة محمودة، وهي التي يتغافل بها الإنسان عن الزلات التي تحدث من الآخرين، ويهجر المعاصي والذنوب ويهملها ولا يلقي لها بالاً وكأنها لم تكن.

٢- غفلة غير محمودة، وهي التي يبتعد فيها عن كثير من أوامر الله تعالى ويأتي ما نهى عنه جل جلاله، وإذا ذُكِّر بذلك لم يلق لذلك اهتماماً وعناية.

خامساً : أقوال السلف حول التغافل.

والتغافل كما مر معنا آنفاً ضمن أقسام الغفلة وهو : الغفلة المحمودة التي يتجاهل فيها الإنسان العاقل عن الزلات وعن الهفوات التي تحدث من الآخرين.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى موضوع التغافل ؛ فمن ذلك: يقول تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**][1].

---

(١) البقرة : ٢٦٧.

يقول القرطبي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا] أي : لستم بآخذيه في ديونكم وحقوقكم من الناس إلا أن تتساهلوا في ذلك وتتركوا من حقوقكم[1].

وقال تعالى : [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ][2].

ويقول أكثر المفسرين عند قوله تعالى : [عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ] : إن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة رضي الله عنهما فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة عند ذلك ببعض ما قالت، وهو قوله تعالى : [عَرَّفَ بَعْضَهُ] حفصة رضي الله عنها [وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ] لم يخبرها أنكِ أخبرت عائشة على وجه التكرم والإغضاء[3].

وهناك مجموعة كبيرة من أقوال السلف الصالح - رحمهم الله - في التغافل، ومنها :

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج ٣، ص ٣٢٦.

(٢) التحريم : ٣.

(٣) انظر : الرازي ، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٨٤.

١ - قال عمرو بن عثمان المكي - رحمه الله - : " المروءة التغافل عن زلل الإخوان"[١].

٢- قال الأوزاعي - رحمه الله - : السلامة عشرة أجزاء منها : تسعة في التغافل[٢].

٣- قال سفيان الثوري - رحمه الله - : ما زال التغافل من فعل الكرام[٣].

٤- قال جعفر بن محمد الصادق - رحمه الله - : عظموا أقداركم بالتغافل[٤].

٥- وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ - رحمه الله - : مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ، وَمَنْ تَرَاخَى تَأَلَّفَ، وَالشَّرَفُ فِي التَّغَافُلِ، وقال أيضاً : السَّخَاءُ حُسْنُ الْفَطِنَةِ وَاللُّؤْمُ سوءُ التَّغَافُلِ[٥].

٦- إن من السخاء والكرم ترك التجني، وترك البحث عن باطن الغيوب، والإمساك عن ذكر العيوب كما أن من تمام الفضائل الصفح عن التوبيخ وإكرام الكريم والبشر في اللقاء ورد التحية، والتغافل عن خطأ الجاهل[٦].

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث : ٨١٤٧.

(٢) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٢٦٩.

(٣) انظر : تفسير البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٩، ٧٣.

(٤) أبو حيان التوحيدي ، البصائر الذخائر ، ص ٤٠٥.

(٥) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٦) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص ١٢٩.

٧- وقال الحسن - رضي الله عنه - ما ستقصى كريم قط[1].

ويقول الشاعر :

تغافلتُ عن أشْـياءَ منـه ورُبَّـما يسرُّك في بعضِ الأمورِ التَّغافُلُ

ويقول آخر :

لـيس الغبـي بـسيدٍ في قومـهِ لكـنَّ سـيدَ قومـهِ المتغـابي

ويقول آخر :

تغافـل في الأمـور ولا تكثـر تقـصيها فالاستقـصاء فرقـه
وسامح في حقوقك بعـض شيء فـما استوفى كـريم قـط حقـه

ويقول آخر :

ومن لا يغمض عينه عن صـديقه وعن بعض ما فيه يمـت وهـو عاتـب

ويقول آخر :

أغمض عيني عن صديقي تغـافلاً كـأني بـما يـأتي مـن الأمـر جاهـل

ويقول آخر :

إلى كَمْ وَكَمْ أشْـيَاءُ مِنْـكَ تُرِيبُنـي أُغَمِّض عنها لستُ عَنْها بِذي عَمَي

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج ١٨، ص ١٨٧.

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هذا الفصل والذي تضمن الآتي : (مصطلحات الدراسة، أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة، أنواع الغفلة في القرآن الكريم، أقسام الغفلة، أقوال بعض السلف - رحمهم الله - حول التغافل).

ويمكن أن نلخص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : يجب على الإنسان المسلم تحديداً الالتزام الكامل بالمنهج الرباني الكريم (قرآناً وسنة)، وأن يبذل كل طاقته في عبادة ربه والقيام بالواجبات الشرعية على أكمل وجه.

ثانياً : ركزت تعريفات السلف - رحمهم الله - على أن الغفلة هي : السهو وعدم التفطن للأمور التي من شأنها أن يُهتم بها ويُفطن إليها.

ثالثاً : وردت في القرآن الكريم خمس وثلاثون آية كريمة فيها لفظة الغفلة بكافة اشتقاقاتها، وتضمنت خمسة أنواع وهي : غفلة شديدة عن توحيد الله تعالى والإيمان به، وغفلة عن معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره، وغفلة عن العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى، وغفلة عن حسن التعامل مع الآخرين، وغفلة عن الاستعداد والحذر من الأعداء.

رابعاً : تنقسم الغفلة إلى قسمين رئيسين هما :

١ - حسب نية الغافل ويُعبر عنها بالآتي :

- غفلة مقصودة، وهي التي يصر صاحبها على عدم التوحيد والإيمان بالله تعالى وكل ما يؤدي إلى رضا الله تعالى من قول وفعل.
- غفلة غير مقصودة، وهي التي تحدث من صاحبها القصور من غير قصد.

٢ - حسب الفعل ويُعبر عنها بالآتي :

- غفلة محمودة، وهي التي يتغافل بها الإنسان عن الزلات ويهجر المعاصي.
- غفلة غير محمودة، وهي التي يبتعد فيها عن كثير من أوامر الله تعالى ويأتي ما ينهى عنه وإذا ذكر بذلك لم يلق لذلك اهتماماً.

خامساً : مدح السلف - رحمهم الله - للتغافل، وأنه من الخصال الحميدة ومن دلائل الحكمة وكمال العقل، ومن ذلك قول الحسن - رضي الله عنه - ما استقصى كريم قط، وقول جعفر الصادق - رحمه الله - : عظموا أقداركم بالتغافل.

الفصل الثاني

أهمية التوحيد والإيمان بالله تعالى

تمهيد.

إن الآيات في هذا الفصل تقرع الأسماع وتهيِّج الفكر وتوقظ القلب ذلك لأنها تدور حول غفلة الإنسان عن عبادة الله تعالى، والانشغال بعبادة غيره مما لا ينفع ولا يضر ولا يقدم ولا يؤخر، بل أن هؤلاء المعبودين من دون الله سبحانه يتبرؤون ممن عبدوهم ودانوا لهم بالتذلل والخضوع يوم القيامة.

إن أعظم غفلة تصيب الإنسان في مقتله هي الغفلة عن توحيد الله تعالى والإيمان به جل وعلا، بل هي الخسارة العظمى التي لا تعادلها خسارة كيف لا ؟! وهي البعد الحقيقي عن منهج الله تعالى، وعن هدف وغاية الحياة كلها التي من أجلها قامت السموات والأرض وأرسلت الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلت الكتب.

وباستعراضنا لهذه الآيات الكريمات يتضح لك - أيها القارئ الكريم - خطورة الغفلة عن هذه القضية المحورية الكبرى (**توحيد الله تعالى والإيمان به**) التي خُلق الإنسان من أجلها، بل إن كل ما في الكون يعمل ويدور في فلكها.

أ : الآيات التي وردت فيها الغفلة عن توحيد الله تعالى والإيمان به.

وردت في هذا الفصل ثلاث عشرة آية كريمة تدور كلها حول البعد عن توحيد الله والإيمان به وهي :

أولاً : قال تعالى :[يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ، ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ][1].

ثانياً : قال تعالى : [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ][2]

ثالثاً : قال تعالى :[إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ][3].

---

(١) الأنعام : ١٣٠ - ١٣١.

(٢) الأعراف : ١٧٩.

(٣) يونس : ٧- ٨.

رابعاً : قال تعالى : [وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ][1].

خامساً : قال تعالى : [مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ][2].

سادساً : قال تعالى : [يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ، لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ].[3]

---

(١) يونس : ٩٠ - ٩٢.

(٢) النحل : ١٠٦ - ١٠٨.

(٣) يس : ١ - ٧.

سابعاً : قال تعالى : [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ][1].

ثامناً : قال تعالى : [وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ][2].

تاسعاً: قال تعالى :[سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ][3].

---

(١) الأحقاف : ٥.

(٢) الأعراف : ١٣٤ - ١٣٦.

(٣) الأعراف : ١٤٦.

عاشراً : قال تعالى : [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ][1].

الحادي عشر : قال تعالى : [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ، فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ][2].

الثاني عشر : قال تعالى : [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ].[3]

الثالث عشر : قال تعالى : [وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ، إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ].[4]

ب – المضامين التربوية للآيات الكريمات المشار إليها.

---

(١) الأعراف : ١٧٢.

(٢) يونس : ٢٨ – ٢٩.

(٣) مريم : ٣٩ – ٤٠.

(٤) الأنبياء : ٩٧ – ٩٨.

بعد الإطلاع على بعض كتب التفسير والتنقل بين سطورها وتفحص عباراتها لمعرفة أقوال العلماء وتأويلاتهم وما خلصوا إليه في فهم الآيات المشار إليها، وبالنظر والتأمل في هذه الأقوال وجدتها تضمنت مجموعة من المضامين التربوية، ومن أهمها ما يلي :

أولاً : إن هناك أناساً يعيشون معنا على الكرة الأرضية لم يبلغهم دين الله تعالى، ولا يعلموا شيئاً عن عبادة الله عز وجل وتوحيده ؛ فهؤلاء في ضياع ما بعده ضياع، وغفلة عظيمة عن أمر مهم للغاية، وبهذه الغفلة قد خسروا نعمة ومنة عظيمة من نعم الله تعالى، وهي : التشرف بعبادته والأنس به وسؤاله والتوجه إليه عند رغباته ورهباته وحاجاته.

ويجب على الجهات المسؤولة عن الشؤون الإسلامية والدينية الرسمية وغير الرسمية في العالم الإسلامي أن يجتهدوا ويسعوا بكل جهدهم إلى نشر دين الله تعالى، وأن يتعاون في ذلك الجميع الأفراد والجماعات وفق خطط مدروسة ومنظمة ومتقنة، وأن يهيأ لها كل الإمكانات البشرية والمادية اللازمة المعينة لإنفاذ ذلك.

ثانياً : من فضل الله تعالى ومنه وكرمه وسعة رحمته بعباده أنه أرسل لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كي يرشدوهم ويوقظوهم من رقدتهم، وينبهوهم من غفلتهم إلى أهمية عبادة الله تعالى، وتوحيده، والإيمان به، والانقياد إليه، وعدم الإشراك به بأي صورة من صور الشرك كبيره وصغيره كثيره وقليله.

ثالثاً : إن كان هؤلاء الغافلون عن توحيد الله تعالى والإيمان به في خطر بسبب بعدهم عن توحيد الله تعالى والإيمان به إلا أنهم ليسوا معرضين للعقاب الذي أعده الله تعالى إلا لمن بُلغ وأُنذر ولم يستجب لعبادة الله تعالى.

وحول ذلك يقول الشنقيطي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ][1] : المعنى أن الله تعالى لا يهلك قوماً في حال غفلتهم بل لا يهلك أحداً إلا بعد الإعذار والإنذار على ألسنة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه كما بُين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله : [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً].[2]، وقوله: [رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله

---

(١) الأنعام : ١٣١.

(٢) الإسراء : ١٥.

حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل][1]. وقوله : [**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**][2]. وقوله : [**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**][3].

ويقول أيضاً ابن عادل – رحمه الله – في تفسيره عند قوله تعالى : [**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**][4]. : إن الله تعالى أجْرى السُّنَّة ألا يَأخذ أحداً إلا بعد وُجُود الذَّنْبِ، وإنما يَكُون مُذْنِباً إذا أُمِر فَلَمْ يأتَمِر ونُهِيَ فلم يَنْتَهِ، وذلك إنما يكون بعد إنْذَار الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، وهذه الآية تدلُّ على أنَّه لا وُجُوب ولا تَكْلِيف قِبْلَ ورود الشَّرْع[5].

رابعاً : من كمالِ عدل الله تعالى ومنتهى سعة رحمته سبحانه أن ينفي كلا التعذيبين الدنيوي والأخروي معاً من غير إنذارٍ على أبلغ وجهٍ وآكدِه حيث اقتُصِر على نفي التعذيبِ الدنيوي عنه تعالى ليثبُتَ نفيُ التعذيبِ الأخروي عنه تعالى على الوجه البرهانيّ بطريق الأولوية فإنه تعالى حيث لم

---

(١) النساء : ١٦٥.

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) النحل : ٣٦ . الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٢، ص ٣٠.

(٤) الأنعام : ١٣١.

(٥) ابن عادل، اللباب، ج ٧، ص ١٧٦.

يعذِّبهم بعذاب يسيرٍ منقطعٍ بدون إنذارٍ فلأن لا يعذِّبَهم بعذاب شديد مخلدٍ أولى وأجلى[1].

خامساً : إن من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان نعمة الهداية والتوفيق لدينه سبحانه وتعالى، والالتزام بشرعه، والسير على أوامره، واجتناب نواهيه، فكم من البشر حُرم هذه النعمة، فيجب على المسلم الموحد أن يقابل هذه النعمة العظيمة بالشكر القولي والعملي لأنه بهذه الهداية العظيمة يتحقق للإنسان بإذن الله تعالى دخول الجنة، والابتعاد عن النار بفضل الله عز وجل وكرمه وسعة رحمته.

سادساً : جعل الله تعالى للهداية وسائل محددة، وهي : (القلب والعين والسمع)، فمن وفقه الله تعالى كانت هذه الوسائل خير معين له على قبول الهداية والعمل الصالح، ولذلك ذم الله تعالى من لديه هذه الوسائل ولا يستعملها في الطاعة، ووصفهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل، قال تعالى: **[وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ]**[2].

---

(١) انظر : أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٢، ص ٤٣٤ .

(٢) الأعراف : ١٧٩ .

وعلق ابن عاشور - رحمه الله - في تفسيره على هذه الآية بقوله : وتشبيههم بالأنعام في عدم الانتفاع بما ينتفع به العقلاء فكأن قلوبهم وأعينهم وآذانهم قلوب الأنعام وأعينها وآذانها في أنها لا تقيس الأشياء على أمثالها، ولا تنتفع ببعض للدلائل العقلية فلا تعرف كثيراً مما يفضي بها إلى سوء العاقبة، ووجه كونهم أضل من الأنعام : أن الأنعام لا يبلغ بها ضلالها إلى إيقاعها في مهاوي الشقاء الأبدي لأن لها إلهاماً يبعدها به عن المهالك كالتردي من الجبال والسقوط في الهوّات[1].

ويقول أيضاً أبو السعود - رحمه الله - عند قوله تعالى : [بَلِ هُمْ أَضَلُّ] أي : فإن الأنعام تدرِكُ ما من شأنها أن تُدركَه من المنافع والمضارِّ فتجتهد في جلبها وسلبِها غايةَ جهدِها مع كونها بمعزل من الخلود، وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميِّزون بين المنافعِ والمضارِّ بل يعكسون الأمرَ فيتركون النعيمَ المقيمَ ويُقْدِمون على العذاب الخالد، وقيل : لأنها تعرِف صاحبَها وتذكرُه وتُطيعه، وهؤلاء لا يعرِفون ربَّهم ولا يذكُرونه ولا يطيعونه وفي الخبر : " كلُّ شيءٍ أطوعُ لله من ابن آدم"[2].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٨ .

(٢) الطبراني، المعجم الصغير ، حديث رقم : ٩٠٩ ، وقال عنه الألباني حديث حسن (صحيح وضعيف الجامع الصغير رقم : ٩٥٢٤) انظر : أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٣، ص ٧٠.

سابعاً : يجب على الإنسان المسلم أن يتعهد هذه الوسائل : (القلب والعين والسمع) بالحفظ والرعاية باستعمالها في طاعة الله تعالى حتى لا ينطبق عليه التشبيه القرآني الكريم بأنه كالأنعام بل أضل فضلاً عن شهادتها يوم القيامة والسؤال عنها، وهذا يؤكده قول الله تعالى : [**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**][1].

ومَنْ استعمل هذه الجوارح في الطاعات وصانها عن استعمالها في المخالفات، فقد سَلَّم الأمانة علة وصف السلامة واستحق المدحَ والكرامة، ومَنْ دَنَّسَها بالمخالفات فقد ظهرت عليه الخيانة واستوجب الملامة[2].

ثامناً : أعظم أنواع الغفلة البعد عن معرفة الله تعالى وتوحيده والإيمان به [**أُولَئِكَ**] المنعوتون بما مرّ من مثل الأنعامِ [**هُمُ الْغَافِلُونَ**] الكاملون في الغفلة المستحِقّون لأن يُخَصَّ بهم الاسمُ ولا يطلقَ على غيرهم، كيف لا ؟! وإنهم لا يعرِفون من شؤون الله عز وجل، ولا من شؤون ما سواه شيئاً فيشركون به سبحانه، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير[3].

---

(١) الإسراء : ٣٦.

(٢) انظر : القشيري، تفسير القشيري، ج ٤، ٢٦٣.

(٣) انظر : أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٣، ص ٧١.

تاسعاً : أهمية النظر والاعتبار بما يقوي الإيمان من خلال آيات الله تعالى، ومن خلال ما بثه الله عز وجل في الكون من آيات عظيمة، من تقلب الليل والنهار والشمس والقمر، وغيرها من كواكب وأفلاك وهذا كتاب الله المفتوح، ثم النظر والاعتبار بما في القرآن الكريم كتاب الله تعالى المقروء من آيات، ودلالات، ومضامين، وقصص، وأمثال.

قال تعالى : [وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ][1]. قيل : المراد بالآيات أدلة التوحيد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : [عَنْ آيَاتِنَا] يعني : عن محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم معرضون[2].

وقوله : [وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ][3] تذييل قُصد به دعوة الناس جميعاً إلى التأمل، والتدبر، والاعتبار بآيات الله تعالى، وبمظاهر قدرته، ولكن كثيراً من الناس لغافلون عن آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا على إهلاك كل ظالم جبار[4].

---

(١) يونس : ٧.

(٢) انظر : الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٣٧٨.

(٣) يونس : ٩٢

(٤) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٢١٥٨.

عاشراً : إن التعلق الكبير بالدنيا والسعي الحثيث وراءها وبما فيها من ملذات وشهوات يبعد ويلهي بدون شك عن القرب من الله تعالى وطاعته، وهو سبب رئيس عن الغفلة والإعراض عن الله جل جلاله.

يقول السعدي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى : :[**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**]. أي : رَكنوا إليها وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها بأي طريق حصلت حَصّلُوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم، ونياتهم، وأفكارهم، وأعمالهم إليها فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون[1].

ويقول طنطاوي[2] – وفقه الله – : وإن من الأسباب الموجبة لسخط الله تعالى وعدم هدايته إيثار الحياة الدنيا وشهواتها على الآخرة وما فيها من ثواب عظيم، ولذا قال تعالى : [**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**][3].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ٣٥٨.

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٢٥٧٣.

(٣) النحل : ١٠٧ .

الحادي عشر : أهمية أخذ العظة والاعتبار من ما أصاب الناس، والأمم، والأفراد من مصائب ونكبات في الماضي والحاضر بسبب عدم توحيدهم وإيمانهم بالله تعالى، وبسبب معاصيهم وذنوبهم، فالسعيد من وعظ بغيره.

الثاني عشر : إن الإنسان إذا أعرض ونأى بجانبه عن توحيد الله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال والعياذ بالله ؟! فإنه سيلجأ إلى عبادة غير الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة، وبالتالي هو أشدّ بعداً وضلالاً.

يقول ابن عادل – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى : [**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**][1]. : استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى لا أحد أبعد عن الحق، وأقرب إلى الجهل ممن يدعو من دون الله تعالى الأصنام فيتخذها آلهة ويعبدها وهي إذا دُعِيَتْ لا تسمع ولا تجيب لا في الحال، ولا في المآل إلى يوم القيامة[2].

الثالث عشر : أن يحرص الإنسان المسلم على صدق التوبة مع الله تعالى في الإقلاع عن المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، وأن يجاهد نفسه في عدم العودة إلى الذنب حتى لا يحل به غضب الله عز وجل وانتقامه، كما قال

---

(١) الأحقاف : ٥.

(٢) ابن عادل، اللباب، ج ١٤، ص ٢٠٥.

تعالى حكاية عن بني إسرائيل : [**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**][1].

ونذكر القارئ الكريم بشروط التوبة النصوح، وهي :

الأول : الإقلاع عن الذّنب.

الثاني : العزم أن لا يعود إليه.

الثالث : النّدم على ما فات.

رابعاً : أداء الحقوق لأصحابها أو عفو أصحابها عنها.

الرابع عشر : شدة الحذر من الاتصاف بالتكبر على الناس فإن ذلك من أشد المحرمات، وأشد الكبر هو التكبر على إتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ومحارمه، وللأسف هذا حال بعض الناس في زماننا - هداهم الله -.

يقول أبو الحسن الخازن - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**][2]. : ومعنى

---

(١) الأعراف : ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) الأعراف : ١٤٦.

الذين يتكبرون أي : الذين يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، والتكبر على هذه الصفة لا يكون إلا لله عز وجل لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد سواه.

ثم يضيف - رحمه الله - : فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مدح، وفي حق المخلوقين صفة ذم لأنه تكبر بما ليس له ولا يستحقه، وقيل التكبر إظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد[1].

الخامس عشر : العناية بالتربية الإسلامية التي تعنى بالمحافظة على فطرة الله جل جلاله التي فطر الناس عليها، وهذه مسؤولية الوالدين، وكافة المؤسسات التربوية في المجتمع لأن البشر كلهم خلقهم الله تعالى على التوحيد وأشهدهم على نفسه المقدسة فقالوا : بلى شهدنا، قال تعالى : [**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**][2].

يقول السعدي - رحمه الله - : فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تُغير وتُبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا [**قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**] أي : إنما

---

(١) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٩٨.

(٢) الأعراف : ١٧٢.

امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم من أن الله تعالى ربكم خشية أن تنكروا يوم القيامة فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم بل أنتم غافلون عنها لاهون[1].

ولمزيد من معرفة بعض التوجيهات التربوية المهمة حول تربية الأولاد المستمدة من القرآن الكريم والسنة المشرفة (**انظر : الذرية في القرآن الكريم دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام للمؤلف وبه جملة وافرة من التوجيهات التربوية المعينة للوالدين في تربية أولادهم بإذن الله تعالى**).

السادس عشر : على الإنسان المسلم العاقل أن يهيئ نفسه ليوم الحساب لأنه سيسأل عن كل ما بدر منه من قول وفعل صغير كان أم كبيراً، ومن راقب الله تعالى في تصرفاته القولية والفعلية وعرف أنه سيحاسب ضبط فعله وقوله لأن الله تعالى سوف يجمع الناس ويقضي فيهم بحكمه، قال تعالى : [**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ، فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**][2].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٣٠٨ .

(٢) يونس : ٢٨- ٢٩.

ويقول أبو العتاهية :

إلى الديان يوم الـدين نمـضى وعنـد الله تجتمـع الخـصوم

فكن أخي المسلم - رعاك الله - على حذر في كل تـصرفاتك وراقـب الله تعالى في سرك وجهرك، قـال تعـالى : [**وَأَطِيعُـوا اللَّهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**][1].

السابع عشر : على الإنسان المسلم العناية التامة باختيار العلماء الموثوقين في عقيدتهم وعلمهم وأن يتحقق ويتأكد ممن يأخذ العلم والفتوى، ويحذر كل الحذر من أخذ العلم من أنصاف المتعلمين ومدعيه لأن هؤلاء لن ينفعـوه، وسوف يتبرؤون منه يوم القيامة، كما قال تعالى : [**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُـوا مِـنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُـوا لَـوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَـبَرَّءُوا مِنَّـا كَـذَلِكَ يُـرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُـمْ حَـسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**[2].

الثامن عشر : العناية التامة باختيار الأصدقاء الأوفياء الأتقياء لأن هـؤلاء صداقتهم حقيقية لم تبن عـلى مصلحة ؛ فإنهـم على الخير معـاونون، وعـلى

---

(١) المائدة : ٩٢.

(٢) البقرة : ١٦٦ - ١٦٧.

الشر ناصحون، قال تعالى : [**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**][1].

وقال صلى الله عليه وسلم : " لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ "[2].

التاسع عشر : على الداعية العناية بتنبيه الناس وإنذارهم بين فترة وأخرى إلى أهوال يوم القيامة حتى يتنبه الغافل ويعود المذنب والعاصي، ولذا قال تعالى مخاطباً نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم : [**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**][3].

يقول الشنقيطي - رحمه الله - والإنذار : الإعلام المقترن بتهديد أي: أنذر الناس يوم القيامة، وقيل له يوم الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، وقد يندم فيه المؤمنون على ما كان منهم من التقصير[4]، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى في مواضع أخر كقوله : [**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأزفة إِذِ القلوب لَدَى الحناجر كَاظِمِينَ**][5]،

---

(١) الزخرف : ٦٧.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم : ٤١٩٢.

(٣) مريم : ٣٩.

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٣، ص ٤٨٢.

(٥) غافر : ١٨

وقوله [إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ][1].

ويقول طنطاوي – حفظه الله – : أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يخوف المشركين من أهوال يوم القيامة فقال : [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة إِذْ قُضِيَ الأمر وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ] أي: وأنذر أيها الرسول الكريم صلى الله عله وسلم المشركين وخوفهم من أهوال يوم القيامة يوم يتحسر الظالمون على تفريطهم في طاعة الله تعالى، ولكن هذا التحسر لن ينفعهم لأن حكم الله تعالى قد نفذ فيهم، وقضى الأمر بنجاة المؤمنين، وبعذاب الفاسقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار[2].

العشرون : على المسلم أن يتنبه ويحرص على طاعة ربه سبحانه وتعالى، والإكثار من الخير، واستغلال كل أوقاته فيما يرضى الله تعالى لأن أيامه في هذه الدنيا محدودة جداً ؛ فإذا جاء وعد الآخرة لم ينفع الإنسان شيء إلا ما قدمه من خير ولات ساعة مندم.

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج١، ص ٢٧٨١ .

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هذا الفصل، والذي تضمن الحديث عن : أهمية التوحيد والإيمان بالله تعالى، يمكن أن نلخص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : سعة رحمة الله تعالى بعباده بأن أرسل لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كي يرشدوهم ويوقظوهم من رقدتهم، وينبهوهم من غفلتهم إلى أهمية عبادة الله تعالى، وتوحيده، والإيمان به، وعدم الإشراك به.

ثانياً : إن هؤلاء الغافلين عن توحيد الله تعالى، والإيمان به في خطر بسبب بعدهم عن توحيد الله تعالى والإيمان به إلا أنهم ليسوا معرضين للعقاب الذي أعده الله تعالى إلا لمن بُلغ وأُنذر ولم يستجب لعبادة الله عز وجل، قال تعالى : [**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**][1].

ثالثاً : يجب على المسلم الموحد أن يقابل نعمة الهداية للتوحيد بالشكر القولي والعملي لأنه بهذه الهداية العظيمة يتحقق للإنسان بإذن الله تعالى السعادة في الدنيا والآخرة.

رابعاً : أهمية النظر والاعتبار بما يقوي الإيمان من خلال آيات الله تعالى، وما بثه الله عز وجل في الكون من آيات عظيمة من تقلب الليل والنهار،

---

(١) الأنعام :١٣١.

والشمس والقمر وغيرها، ثم النظر والاعتبار بما في القرآن الكريم من آيات، ودلالات، ومضامين، وقصص، وأمثال.

خامساً : شدة الحذر من الاتصاف بالتكبر على الناس فإن ذلك من أشد المحرمات، وأشد الكبر هو التكبر على إتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومحارمه.

سادساً : العناية بالتربية الإسلامية التي تعنى بالمحافظة على فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، وهذه مسؤولية الوالدين، وكافة المؤسسات التربوية في المجتمع.

سابعاً : على الإنسان المسلم العاقل أن يهيئ نفسه ليوم الحساب لأنه سيسأل عن كل ما بدر منه من قول وفعل صغير كان أم كبيراً، ومن راقب الله تعالى في تصرفاته القولية والفعلية وعرف أنه سيحاسب ضبط فعله وقوله.

ثامناً : على الإنسان المسلم العناية التامة باختيار العلماء الموثوق بهم في عقيدتهم وعلمهم، وأن يتحقق ويتأكد ممن يأخذ العلم، والفتوى، ويحذر كل الحذر من أخذ العلم من أنصاف المتعلمين ومدعيه ؛ لأن هؤلاء لن ينفعوه، وسوف يتبرؤون منه يوم القيامة.

الفصل الثالث

معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره

تمهيد

إن الله تعالى جلت قدرته له العظمة والكبرياء، وهو القادر المتصرف في الكون بكل ما فيه لا تخفى عليه خافية مهما صغرت، وهو سبحانه المتفضل على عباده بكل النعم التي لا تعد ولا تحصى، ولو قام العباد بعبادة الله تعالى طيلة أيامهم وأعمارهم لما وفوا ولا نعمة واحدة من نعم الله عز وجل.

وقد أصاب الناس - والله المستعان - في زماننا غفلة عظيمة في حق تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره، وكل ذلك يعود إلى الجهل به، ولذلك يقول أحد السلف : " اعرفوه حتى تعبدوه "، ويقول أحدهم : " من كان بالله أعرف كان له أخوف " .

وقد ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى غفلة أكثر الناس عن تقدير الله سبحانه حق قدره ؛ فقال تعالى : [**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ**

تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ][1]، وقال تعالى : [مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ][2]، وقال تعالى : [وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ][3].

أوضح الشنقيطي – رحمه الله – عند قوله تعالى : [مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ][4]. أي : ما عظَّموه حق عظمته حين عبدوا معه من لا يقدر على خلق ذباب، وهو عاجز أن يسترد من الذباب ما سلبه الذباب منه، وكونهم لم يعظموا الله تعالى حق عظمته، ولم يعرفوه حق معرفته حيث عبدوا معه من لا يقدر على جلب نفع ولا دفع ضر[5].

وقال السعدي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى : [وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ والأرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامة والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ][6]. : وما قدر هؤلاء المشركون ربهم

---

(١) الأنعام : ٩١.

(٢) الحج : ٧٤.

(٣) الزمر : ٦٧.

(٤) الحج : ٧٤

(٥) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٥، ص ٣٠٤.

(٦) الزمر : ٦٧.

حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه بل فعلوا ما يناقض ذلك من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله ؛ فأوصافه ناقصة من كل وجه وليس عنده نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئاً فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم الذي من عظمته الباهرة وقدرته القاهرة أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات على سعتها وعظمها مطويات بيمينه فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره ولا أظلم منه [**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**] أي : تنزه وتعاظم عن شركهم به جل في علاه[1].

أ : الآيات التي وردت فيها الغفلة عن معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره.

وردت في هذا الفصل إحدى عشرة آية كريمة تدور كلها حول تعظيم الله تعالى ومعرفته وتقديره حق قدره، وهي :

أولاً : قال تعالى : [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][2].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٧٢٩.

(٢) البقرة : ٧٤.

ثانياً : قال تعالى : [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][1].

ثالثاً : قال تعالى : [أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][2].

رابعاً : قال تعالى : [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ][3].

---

(١) البقرة : ٨٤ - ٨٥.

(٢) البقرة : ١٤٠.

(٣) البقرة : ١٤٤.

خامساً : قال تعالى : [وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ](١).

سادساً : قال تعالى : [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ](٢).

سابعاً : قال تعالى : [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ](٣).

ثامناً : قال تعالى : [وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ](٤).

تاسعاً : قال تعالى : [وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ](٥).

عاشراً : قال تعالى : [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ](٦).

---

(١) البقرة : ١٤٩.

(٢) آل عمران : ٩٩.

(٣) الأنعام : ١٣٢.

(٤) هود : ١٢٣.

(٥) النمل : ٩٣.

(٦) إبراهيم : ٤٢.

الحادي عشر : قال تعالى : [وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ][1].

ب – المضامين التربوية للآيات الكريمات المشار إليها.

بعد الإطلاع على بعض كتب التفسير لمعرفة أقوال العلماء وتأويلاتهم وما خلصوا إليه في فهم الآيات المشار إليها، وبالنظر والتأمل في هذه الأقوال وجدتها تضمنت مجموعة من المضامين التربوية، ومن أهمها ما يلي :

أولاً : تكرر ختم الآيات السابقة بقول الله تعالى : [**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**]، ولعلماء التفسير السلف والخلف – جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة – تأويلات وتعبيرات جميلة يفوح منها رائحة الإيمان واليقين حول معنى هذه الآية.

ولكن قبل الشروع في ذلك نورد تعليقاً للإمام الرازي – رحمه الله – وقوله : هل يصح أن يوصف الله تعالى بأنه ليس بغافل ؟

ويعلق الرازي – رحمه الله – على ذلك فيقول : إن نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها عليه[2] بدليل قوله تعالى:

---

(١) المؤمنون : ١٧ .

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢ ، ص ١٦٢ .

[لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ][1] ، وقـوله تعالى: [وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ][2].

أما الآن فنعود لأقـوال علماء التفسير لقوله تعالى : [وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]، فهي :

أ- تفسير السعدي - رحمه الله -.

١ - قال تعالى : [وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَـمَّا تَعْمَلُـونَ][3]. أي : أحـصى أعمالهـم وعدها وادخر لهم جزاءها فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النـار مثـوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن الكريم في ذكر العلم والقدرة عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها[4].

٢ - قال تعالى : [وَمَـا اللهُ بِغَافِـلٍ عَـمَّا يَعْمَلُـونَ][5]. أي : يحفـظ علـيهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيهـا وعيد للمعترضين وتسلية للمـؤمنين[6].

---

(١) البقرة : ٢٥٥.

(٢) الأنعام : ١٤.

(٣) البقرة : ١٤٠

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٦٩).

(٥) البقرة : ١٤٤.

(٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٧١.

٣ - قال تعالى : [**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**][1] أي : فيجازي كلاً بحسب علمه وبما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله تعالى العباد بالأعمال الصالحة ونهاهم عن الأعمال السيئة رحمة بهم وقصداً لمصالحهم، وإلا فهو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين[2].

ب- تفسير البيضاوي - رحمه الله -.

٤ - قال تعالى : [**وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ**][3] أي : إن الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن أفعال العباد[4].

جـ- تفسير الخازن - رحمه الله -.

٥ - قال تعالى : [**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][5] أي : وما الله غافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم، ثم يعاقبكم عليه في الآخرة[6].

---

(١) الأنعام ١٣٢.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٢٧٤.

(٣) البقرة : ٨٥.

(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ١٢٣.

(٥) البقرة : ١٤٠

(٦) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٠٦.

٦- قال تعالى : [**وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1] أي : ليس هو بساهٍ عن أعمالكم، ولكنه محصها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة[2].

د- تفسير اللباب لابن عادل - رحمه الله -.

٧- قوله تعالى : [**وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][3] أي : وعيد وإعلام بأنه لم يترك أمرهم سُدى، وأنه يجازيهم على أعمالهم[4].

٨- قوله سبحانه وتعالى : [**وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][5] يعني : ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم : [**مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ التي كَانُواْ عَلَيْهَا**][6] فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله[7].

هـ- تفسير أبو السعود - رحمه الله -.

---

(١) البقرة :١٤٩

(٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١١٤.

(٣) البقرة : ١٤٠

(٤) ابن عادل، اللباب، ج ٢، ص ١٤٥.

(٥) البقرة :١٤٩.

(٦) البقرة : ١٤٢

(٧) ابن عادل، اللباب، ج ٢، ص ١٩٦.

٩- قال تعالى : [**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1] . أي : اعتراضٌ تذييليٌ فيه تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ ؛ قيل : لما كان صدُّهم للمؤمنين بطريق الخُفْية خُتمت الآيةُ الكريمة بما يحسِمُ مادةَ حيلتهم من إحاطة علمِه تعالى بأعمالهم[2].

و- تفسير الرازي - رحمه الله -.

١١- قال تعالى : [**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][3] أي : إنه لا يضيع طاعات المطيعين، ولا يهمل أحوال المتمردين الجاحدين، وذلك بأن يحضروا في موقف القيامة ويحاسبوا على النقير والقطمير، ويعاتبوا في الصغير والكبير، ثم يحصل عاقبة الأمر فريق في الجنة وفريق في السعير[4].

ز- تفسير طنطاوي - حفظه الله -.

١- قوله تعالى : [**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][5]. أي : تهديد وتخويف حيث إنه سبحانه سيحاسبهم على أعمالهم، وسيذيقهم ما يستحقونه من عقاب جزاء جحودهم لنعمه وعصيانهم لأمره[6].

---

(١) آل عمران : ٩٩

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ١، ص ٤٢٥.

(٣) هود : ١٢٣

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٤٩١.

(٥) البقرة : ٧٤

(٦) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ١٢٥.

ثانياً : شدة قسوة وصلابة قلب الإنسان إذا لم يسترشد بنور التوحيد والإيمان بالله تعالى فيصبح كالحجارة بل أشدة قسوة منها لأن الحجارة تستجيب لما أُمرت به وجُبلت عليها حتى أنها تهبط من خشية الله تعالى بما ألهمها وأفهمها به، قال تعالى : [**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**][1].

وبين الشنقيطي – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية : فإذا ما توجه الفكر في هذا العرض وتنقل من موقف إلى موقف وتأمل صنع الله تعالى وقدرته وآياته نطق بتسبيحه، وعلم أنه سبحانه هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة علم ما سيكون عليه العالم قبل وجوده فأوجده على مقتضى علمه به، وسيره على النحو الذي أوجده عليه، وعلم أنه لو أنزل القرآن العظيم على جبل ماذا يكون حاله، فحض العباد بالأخذ به[2].

---

(١) الحشر : ٢١.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان،ج ٨، ص ٢١٤.

وأوضح أيضاً السعدي - رحمه الله - عند تفسير هـذه الآيـة : ولمـا بين تعالى لعباده ما بين وأمرهم ونهاهم في كتابه العزيز كان هـذا موجبـاً لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي ؛ فإن القرآن الكريم لو أنزله على جبـل لرأيتـه خاشعاً متصدعاً من خشية الله تعالى أي : لكمال تـأثيره في القلـوب فـإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس وأيسرها على الأبدان خالية من التكلف لا تناقض فيهـا ولا اختلاف ولا صعوبة فيها ولا اعتساف تصلح لكل زمان ومكان وتليق لكل أحد[1].

ثالثاً : يقول البغوي - رحمه الله - عنـد تفـسير قولـه تعـالى : [**وَإِنَّ مِـنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَـا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَـا يَهْبِطُ مِـنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَـا اللَّهُ بِغَافِـلٍ عَمَّا تَعْمَلُـونَ**][2]. : ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى عِلْماً في الجمادات وسائر الحيوانات فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكـره : [**وَإِنْ مِـنْ شَيْءٍ إِلَّا يُـسَبِّحُ بِحَمْـدِهِ**

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٨٥٣.

(٢) البقرة : ٧٤.

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا][1]، وقال تعالى : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ][2]. فيجب على المؤمن الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى[3].

رابعاً : قدرة الله تعالى العظيمة ودقة علمه سبحانه وتعالى وإحاطته الكاملة بكل حركات الكون، وكل ما فيه صغيره وكبيره دقه وجله لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض، ويقول الرازي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][4] : فالمعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم محصي لها ؛ فهو يجازيهم بها في الدنيا والآخرة[5].

---

(١) الإسراء : ٤٤.

(٢) النور : ٤١.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ١١١.

(٤) البقرة : ٧٤

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ١٦٢.

خامساً : على المسلم أن يحرص كل الحرص على الأخذ بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه فلا يأخذ شيئاً ويترك شيئاً آخر حسب ما تمليه عليه شهواته ورغباته وأهواؤه.

وحول ذلك أوضح السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1] : وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال تعالى: [**فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**][2].

سادساً : أهمية الأخوة الإيمانية وأنها أقوى من أخوة النسب، ويقول الشنقيطي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**ثُمَّ أَنْتُمْ هؤلاء تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**][3] يعني : تقتلون إخوانكم، ويبين أن ذلك هو المراد لكثرة وروده في القرآن الكريم نحو قوله : [**وَلاَ تلمزوا أَنفُسَكُمْ**][4] أي :

---

(١) البقرة : ٨٥

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٥٨.

(٣) البقرة : ٨٥.

(٤) الحجرات : ١١.

لا يلمز أحدكم أخاه، وقوله : [**لولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً**][1] ، ويوضح هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[2].

سابعاً : شدة ظلم من كتم الشهادة ولم يؤدها لأن ذلك يترتب عليه مفاسد شخصية اجتماعية كبيرة من ضياع الحقوق لأصحابها، وتوريث الضغائن في النفوس، وتمزيق وحدة المجتمع المسلم، وكثرة الفوضى، قال تعالى : **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][3].

ثامناً : أهمية الدعاء، وهو في حد ذاته عبادة عظيمة بل ورد في الحديث الشريف بأنه هو العبادة، فَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ[4] [**قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**][5].

---

(١) النور : ١٢ .

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم : ٥٥٥٢، الشنقيطي، أضواء البيان،ج ١، ص ٥٢ .

(٣) البقرة : ١٤٠ .

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم : ١٢٦٤ .

(٥) غافر : ٦٠ .

وللدعاء شأن عظيم في تفريج الكُرُبات وقضاء الحوائج مع مراعاة الآداب العامة، ومواطن الإجابة عند الدعاء، ومن الآداب العامة : الطهارة، واستقبال القبلة، ورفع اليدين، ومن مواطن الإجابة : أثناء السجود، وفي الثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة.

تاسعاً : عِظَم وقدسية المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فحري بالداعي المتوجه إليها أن يستجاب دعاؤه فكيف بمن كان في المسجد الحرام، أو أمام الكعبة المشرفة مباشرة، أو في المواضع المخصصة بقبول الدعاء، ومنها :

١ - الملتزم، وهو ما بين الركن الذي فيه الحجر الأسود وباب الكعبة ؛ فقد جاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه كان يلزم ما بين الركن والباب، وكان يقول : ما بين الركن والباب يُدعى الملتزم لا يلزم ما بينهما أحدٌ يسأل اللهّ شيئاً إلّا أعطاه إيّاه[1].

٢- الدعاء بين الركنين : الركن اليماني والحجر الأسود، ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب ما يلي :

---

(١) انظر : شعب الإيمان للبيهقي، حديث رقم : ٣٩٠٠.

الحديث الأول : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ : [**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**][2].

الحديث الثاني : عن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : احفظوا هذا الحديث، وكان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يدعو به بين الركنين : " رب قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير "[3].

عاشراً : نلحظ أن كل أمة صاحبة دين أو مذهب تحاول التمسك بدينها ومذهبها ومعتقداتها وتبثه للناس وتعمل جاهدة على اعتناقه والالتزام بمبادئه، وهي على غير هدى.

ولذلك حري بالمسلم صاحب الدين الحق أن يعتز كل الاعتزاز، ويفتخر كل الفخر في أي مكان وفي أي زمان بهذا الدين، والمحافظة على شرائع دينه، وألاّ يفرط فيها لأسباب واهية، ومن أعظمها وأهمها تأدية

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم : ١٦١٦.

(٢) البقرة : ٢٠١

(٣) الحاكم، المستدرك، حديث رقم : ١٦٢٧.

شعيرة الصلاة فهي أعظم ركن بعد الشهادتين، وهي التطبيق العملي الحقيقي للإسلام.

وبين أبو الحسن الخازن - رحمه الله - عند قوله تعالى : [**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1] : من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد صلى الله عليه وسلم قِبَلَ المسجد الحرام [**وَإِنَّهُ**] يعني التوجه إليه [**لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**] أي : الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه[2].

كما يؤكد طنطاوي - يحفظه الله - عند تفسير الآية المشار إليها بقوله: ومن أي موضع خرجت، وإلى أي مكان آخر سرت فول وجهك عند صلاتك إلى المسجد الحرام، وإن هذا التوجه شطره لهو الحق الذي لا شك فيه عند ربك، فحافظوا على ذلك أيها المؤمنون، وأطيعوا الله تعالى في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه[3].

---

(١) البقرة :١٤٩

(٢) أبو الحسن الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١١٤.

(٣) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٢٣٣.

الحادي عشر : أهمية شعيرة الصلاة وعظم قدرها، فقد تكررت عدة مرات في هذا الفصل، وهي :

١- قال تعالى : [**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**][1].

٢- قال تعالى : [**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][2].

٣- قال تعالى : [**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**][3].

وأوضح طنطاوي - يحفظه الله - : وهذا التكرار لشعيرة الصلاة لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن تحول القبلة كان أول نسخ في الإسلام -

---

(١) البقرة : ١٤٨.

(٢) البقرة : ١٤٩.

(٣) البقرة : ١٥٠.

كما قال كثير من العلماء - فاقتضى الأمر تأكيده في نفوس المؤمنين حتى يستقر في مشاعرهم[1].

الثاني عشر : يجب أن يستقر في ذهن المسلم ووجدانه أن السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة لا تتأتى إلا عن طريق إتباع سبيل الله تعالى، والحرص على ذلك أشد الحرص، وتجنب سبيل الشيطان والغواية.

فحري بالمسلم إذا عرف الحق أن يتبعه، وإذا عرف غيره أن يجتنبه فالحق أحق أن يتبع، قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب : [**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][2].

الثالث عشر: دقة علم الله تعالى المتناهية في معرفة الأشياء ؛ فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى : [**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][3].

---

(١) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٢٣٣.

(٢) آل عمران : ٩٩.

(٣) هود : ١٢٣.

يقول الرازي - رحمه الله - عند تفسير الآية المشار إليها : وأشرف الصفات الثبوتية الدالة على الكمال والجلال صفتان : العلم والقدرة، فلهذا السبب وصف الله تعالى ذاته في هذه الآية بهما في معرض التعظيم والثناء والمدح.

ويضيف - رحمه الله - : أما صفة العلم ؛ فقوله : [**وَلِلَّهِ غَيْبُ السموات والأرض**] والمراد أن علمه نافذ في جميع الكليات، والجزئيات، والمعدومات، والموجودات، والحاضرات، والغائبات، وأما صفة القدرة، فقوله : [**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمر كُلُّهُ**] والذي يكون مبدأ لجميع الممكنات، وإليه يكون مرجع كل المحدثات والكائنات كان عظيم القدرة نافذ المشيئة قهاراً للعدم بالوجود والتحصيل جباراً له بالقوة والفعل والتكميل[1].

الرابع عشر : إن الله تعالى خلق الخلق لأجل مسمى، وسوف يحصي أعمال العباد وسيجازيهم كل بحسب عمله فمن أحسن فله الرضا، ومن أساء فله السخط، ولذلك يقول الله تعالى : [**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**][2].

---

(١) انظر : الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٤٩١.

(٢) الأنعام : ١٣٢.

يعلق على ذلك أبو السعود - رحمه الله - في تفسيره فيقول : [وَلِكُلّ] أي : من المكلفين من الثقلين [دَرَجَاتٌ] متفاوتةٌ وطبقاتٌ متباينة [مّمَّا عَمِلُواْ] من أعمالهم ؛ صالحةً كانت أو سيئةً، فإن أعمالَهم درجاتٌ في أنفسها، أو من جزاء أعمالِهم فإن كلَّ جزاءٍ مرتبةٌ معينةٌ لهم أو من أجل أعمالِهم[1].

ويقول الجزائري - يحفظه الله - في تفسيره : أخبر الله تعالى أن لكل عامل من خير أو شر درجات من عمله إن كان العمل صالحاً فهي درجات في الجنة، وإن كان العمل سيئاً فاسداً فهي دركات في النار، وهذا يتم حسب علم الله تعالى بعمل كل عامل، وهو ما دل عليه قوله : [وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ][2].

الخامس عشر : إن من يملك الإحاطة والعلم المطلق هو المستحق للعبادة، وليس غيره، يقول ابن عاشور - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [وَللَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][3] : أي : إن الله تعالى لا غيره

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٢، ص ٤٣٥.

(٢) الجزائري، أيسر التفاسير، ج ١، ص ٤٣٤.

(٣) هود : ١٢٣

يملك غيب السماوات والأرض لأنّ ذلك ممّا لا يشاركه فيه أحد، وإلى الله سبحانه لا إلى غيره يرجع الأمر كله، وهو تعريض بفساد آراء الذين عبدوا غيره لأنّ من لم يكن كذلك لا يستحق أن يعبد، ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يفرد بالعبادة[1].

ويقول طنطاوي - حفظه الله - أي : ولله تعالى وحده علم جميع ما غاب عن الحواس في السموات والأرض، وإليه وحده يرجع الأمر كله من إحياء وإماتة، وهداية وضلال، وصحة ومرض، ونصر وهزيمة[2].

السادس عشر : إن التوكل على الله تعالى قرين العبادة، قال تعالى : [**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**][3] فمن قال : إنه يعبد الله تعالى ولم يتوكل عليه فهذه عبادة ناقصة بل عبادة ربما يفوح منها رائحة الشرك، وربما كان شركاً أكبر أو أصغر بحسب اعتقاده.

ولذلك حري بالمسلم العابد لله تعالى حق العبادة أن يكون من أشد المتوكلين على الله عز وجل، ومن توكل عليه كفاه ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة، فهناك إذاً تلازم قوي بينهما لا ينفك واحد منها عن الآخر.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٢١٩.

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٢٢٧٢.

(٣) هود : ١٢٣

ويقول الرازي - رحمه الله - : أن أول درجات السير إلى الله تعالى هو عبودية الله تعالى، وآخرها التوكل على الله سبحانه ؛ فلهذا السبب قال : [**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**][1].

ويقول أبو الحسن الخازن - رحمه الله - في تفسيره عند قوله سبحانه وتعالى : [**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**][2] معناه : يفوضون جميع أمورهم إليه ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه، وأن المؤمن إذا كان واثقاً بوعد الله تعالى ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره، وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لأن الإنسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره إلا على الله عز وجل[3].

السابع عشر : قال الله تعالى : [**وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ**][4] وهو توجيه من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو في ذات الوقت توجيه لأمته بالمحافظة والحرص التام على شكر الله تعالى على النعم التي أنعم بها علينا قولاً وفعلاً.

---

(١) انظر : الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٤٩١.

(٢) الأنفال : ٢

(٣) أبو الحسن الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ١٥٩.

(٤) النمل : ٩٣

ولعل من أفضل الوسائل المعينة على شكر الله تعالى أن يتذكر الإنسان هذه النعم باستمرار لأن تذكر النعم مدعاة لأن يلهج لسان المسلم وقلبه بالحمد والشكر للمنعم جل جلاله.

الثامن عشر : إن آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته وكمال قدرته مبثوثة في أرجاء الكون كله، وأوضح محمد سيد طنطاوي – يحفظه الله – : عند تفسير قوله تعالى : [**وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1] : وصدق الله عز وجل ففي كل يوم بل في كل ساعة يرى عباده بعض آياته الدالة على وحدانيته وقدرته في أنفسهم، وفى آفاق هذا الكون[2]، وما أحكم قوله تعالى : [**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاق وفِي أَنفُسِهِمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق**][3].

التاسع عشر : إن الله تعالى عدله مطلق لا يقبل الظلم، ومن علم علم اليقين بأن الله لا يغفل عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان فإنه حري به أن يردعه ذلك عن الظلم، ولكن من غفل عن هذه الإحاطة العظيمة من الله تعالى فإن الله سبحانه منجز وعده بنصرة المظلوم ولو بعد حين.

---

(١) النمل : ٩٣

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٣٢٤٣.

(٣) فصلت: ٥٣.

علق ابن عاشور – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى : [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ][1] : إن المراد بالظلم هنا الشرك لأنه ظلم للنفس بإيقاعها في سبب العذاب المؤلم، وظلم لله تعالى بالاعتداء على ما يجب له من الاعتراف بالوحدانية، ويشمل ذلك ما كان من الظلم دون الشرك مثل : ظلم الناس بالاعتداء عليهم، أو حرمانهم حقوقهم فإن الله جل وعز غير غافل عن ذلك، ولذلك قال سفيان بن عُيَيْنة – رحمه الله – هذه الآية تسلية للمظلوم وتهديد للظالم[2].

وأضاف أيضاً ابن عادل – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ][3] : إن ذلك تنبيه على أنَّه تبارك وتعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظَّالم للزم إمَّا أن يكون غافلاً عن ذلك الظَّالم، أو عاجزاً عن الانتقام،

---

(١) إبراهيم : ٤٢

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٤٤٦ .

(٣) إبراهيم : ٤٢

أو كـان راضياً بذلك الظُّلـم، ولما كانت الغفلة والعجز والرِّضا بالظُّلم محالاً على الله تعالى امتنع أن لا ينتقم من الظَّالم للمظلوم[1].

العشرون : ذكر ابن عادل – رحمه الله – عند قوله تعالى : [**وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـافِلِينَ**][2] : إن في هذه الآية عدة مسائل، وهي :

الأولى : أنها تدل على وجود الصانع فإن انقلاب هذه الأجسام من صـفة إلى صفة أخرى تضاد الأولى مع إمكان بقائها على الصفة الأولى يدل على أنه لا بد من مُغيِّر وهو الله سبحانه وتعالى.

الثانية : أنها تدل على فساد القول بالطبيعة فإن شيئاً من تلك الصفات لو حصلت بالطبيعة لوجب بقاؤها وعدم تغيرها، ولو قيـل : إنـما تغـيرت تلك الـصفات لتغـير تلـك الطبيعـة افتقـرت تلـك الطبيعـة إلى خـالق وموجد.

الثالثة : أنها تدل على أنّ المدبر قادر عالم لأنَّ الجاهل لا يصدر عنـه هـذه الأفعال العجيبة.

---

(١) ابن عادل، اللباب، ج ١٠، ص ٦.

(٢) المؤمنون : ١٧

الرابعة : أنها تدل على أنه عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات.

الخامسة : أنها تدل على جواز الحشر والنشر، ولأنّ الفاعل لما كان قادراً على كل الممكنات، وعالماً بكل المعلومات وجب أن يكون قادراً على إعادة التركيب إلى تلك الأجزاء كما كانت.

السادسة : أنّ معرفة الله تعالى يجب أنْ تكون استدلالية لا تقليدية، وإلاّ لكان ذكر هذه الدلائل عبثاً[1].

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هذا الفصل، والذي تضمن الحديث عن : معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره ؛ يمكن أن نلخص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : قدرة الله تعالى العظيمة، ودقة علمه سبحانه وتعالى، وإحاطته الكاملة بكل حركات الكون، وسكناته، وكل ما فيه صغيره، وكبيره، دقه، وجله لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض.

---

(١) انظر : ابن عادل، اللباب، ج ١١، ص ٤٧٩.

ثانياً : على المسلم أن يحرص كل الحرص على الأخذ بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه فلا يأخذ شيئاً ويترك شيئاً آخر حسب ما تمليه عليه شهواته ورغباته وأهواؤه.

ثالثاً : شدة ظلم من كتم الشهادة، ولم يؤدها لأن ذلك يترتب عليه مفاسد شخصية، واجتماعية كبيرة من ضياع الحقوق لأصحابها، وتوريث الضغائن في النفوس، وتمزيق وحدة المجتمع المسلم، وكثرة الفوضى.

رابعاً : يجب أن يستقر في ذهن المسلم ووجدانه أن السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة لا تتأتى إلا عن طريق إتباع سبيل الله تعالى، والحرص على ذلك أشد الحرص، وتجنب سبيل الشيطان والغواية.

خامساً : إن الله تعالى خلق الخلق لأجل مسمى وسوف يحصي أعمال العباد وسيجازيهم كلاً بحسب عمله فمن أحسن فله الرضا، ومن أساء فله السخط.

سادساً : إن من يملك الإحاطة والعلم المطلق هو المستحق للعبادة، وليس غيره، قال تعالى : [**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1].

---

(١) هود : ١٢٣.

سابعاً : إن آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته وكمال قدرته مبثوثة في أرجاء الكون كله، قال تعالى : [**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1].

ثامناً : إن الله تعالى عدله مطلق لا يقبل الظلم، ومن عَلِمَ عِلْم اليقين بأن الله عز وجل لا يغفل عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ؛ فإنه حري به أن يردعه ذلك عن الظلم، ولكن من غفل عن هذه الإحاطة العظيمة من الله تعالى فإن الله سبحانه منجز وعده بنصرة المظلوم ولو بعد حين.

الفصل الرابع

العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي

تمهيد

ركز هذا الفصل على موضوعات ثلاثة مهمة للغاية يغفل عنها كثير من الناس جاءت في مقدمتها : الغفلة عن العناية بالقرآن الكريم، والغفلة عن ذكر الله تعالى، والغفلة عن طلب العلم الشرعي.

الموضوع الأول : العناية بالقرآن الكريم.

لقد حرصت الشريعة الإسلامية حرصاً شديداً على الاهتمام والعناية بالقرآن الكريم لأنه هداية للتي هي أقوم في كافة مناحي الحياة على اختلاف أنواعها، وفيه شرف وعز للمؤمن، ورفعة لذكره وقدره، كما قال تعالى : [لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ][1] ، وقال تعالى : [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ][2].

---

(١) الأنبياء ١٠

(٢) الزخرف ٤٣-٤٤.

وإن البُعد والغفلة عن العناية بالقرآن الكريم غفلة عظيمة وصدمة عنيفة وتخلف فكري لأنه استبدال الأدنى بالذي هو خير، فمن لم يعتز ويشرف بالقرآن الكريم لا شرف ولا عز له في الدنيا ولا في الآخرة.

الموضوع الثاني : ذكر الله تعالى.

من أعظم وألذ وأمتع وأسعد اللحظات ذكر الله تعالى والأنس به، ومن فاته ذلك بسبب غفلته فقد فاته خير كثير، وحرم سعادة عظيمة لا يعرف قدرها إلا من ذاقها وعاش لحظاتها، وكما قيل من ذاق عرف.

والقرآن الكريم اعتنى بأهمية ذكر الله تعالى أيما اعتناء، ونبه إلى قدره وشرفه، فقال تعالى : [**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**][1] ، وقال تعالى : [**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**][2] ، وقال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**][3].

---

(١) البقرة : ١٥٢

(٢) طه : ١٢٤

(٣) الأحزاب : ٤١ -٤٢.

الموضوع الثالث : طلب العلم الشرعي.

في معترك الحياة والسعي في مناكبها، والتشوف إلى لذائذها وزخارفها يغفل وينشغل الإنسان عن أمر مهم من أمور استقامة حياته ؛ فالحياة ليست أكلاً، وشرباً، ونوماً، واستمتاعاً بشهواتها، وإنما هناك أمور لا يمكن الحصول عليها - وهي من الأهمية العظمى بمكان - إلا عن طريق العلم الشرعي، وهي : معرفة بعض حقائق وأحكام الدين الذي بها يعرف الإنسان ربه، ويعرف كيف يعبده بعلم وبصيرة.

وقد اهتمت وأكدت الشريعة الإسلامية على طلب العلم ومدح أهله والثناء عليهم، والآيات الكريمات والأحاديث الشريفة في هذا الباب كثيرة جداً ؛ فمن ذلك : قال تعالى : [**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**](1).

أوضح ابن عادل - رحمه الله - في تفسيره : دلّت هذه الآيةُ على فَضْل العلم، وشرف العلماء فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنه الله تعالى باسمه واسم ملائكته كما قرن الله عز وجل اسم العلماء، وقال تعالى لنبيه صلى عليه وسلم : [**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**](2) ، فلو كان شيء

---

(١) آل عمران : ١٨.

(٢) طه : ١١٤

أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيَّه المزيد منه كما أمره أن يستزيد من العلم[1].

وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ][2].

وأشار البيضاوي - رحمه الله - في تفسيره عند تفسير هذه الآية فقال: ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل؛ فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة[3].

وجاء في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[4]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[5].

أ: الآيات التي وردت فيها الغفلة عن العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي.

---

(١) ابن عادل، اللباب، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ٢٧٧.

(٤) سنن ابن ماجه، حديث رقم: ٢٢٤

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: ٧١.

وردت في هذا الفصل ست آيات كريمات تدور كلها حول العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي، وهي :

أولاً : قال تعالى : [وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ][1].

ثانياً : قال تعالى : [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ][2].

ثالثاً : قال تعالى : [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ][3].

رابعاً : قال تعالى : [الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

---

(١) الروم : ٦ - ٧.

(٢) الأنعام : ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) الأعراف : ٢٠٥.

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ](١).

خامساً : قال تعالى : [اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ](٢).

سادساً : قال تعالى: [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ](٣).

ب – المضامين التربوية للآيات الكريمات المشار إليها.

بعد الإطلاع على بعض كتب التفسير لمعرفة أقوال العلماء وتأويلاتهم وما خلصوا إليه في فهم الآيات المشار إليها، وبالنظر والتأمل في هذه الأقوال وجدتها تضمنت مجموعة من المضامين التربوية، ومن أهمها ما يلي :

---

(١) يوسف : ١ – ٤.

(٢) الأنبياء : ١ – ٣.

(٣) ق : ٢٠ – ٢٢.

أولاً : للشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره أضواء البيان كلاماً وتفصيلاً جميلاً لقوله تعالى : [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**][1]، ولأهميته تربوياً فسوف أشير إلى أهم النقاط الواردة فيه، وهي على النحو الآتي :

١ – هناك آيات أخرى أوردها – رحمه الله – في تفسيره مشابهة لقوله تعالى: [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**] وهو كونهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهي: قوله تعالى: [**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ**][2] : أي في الدنيا، وقوله تعالى : [**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدنيا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ العلم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتدى**][3].

٢ – ويقول – رحمه الله – وقوله : [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**] يفيد أن الدنيا ظاهراً وباطناً ؛ فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها

---

(١) الروم : ٧

(٢) العنكبوت : ٣٨

(٣) النجم : ٢٩–٣٠.

والتنعيم بملاذها، وباطنها وحقيتها أنها ممر وطريق إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة.

٣ - إن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الغرب لأعمال الحياة الدنيا ومهارتهم فيها على كثرتها واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح، وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة وتخفيف لشأنها أنزله الله تعالى في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة ؛ فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه.

٤ - إن المسلمين يجب عليهم تعلم العلوم الدنيوية، وهذه العلوم الدنيوية إذا تعلمها المسلمون وكان تعليمها واستعمالها مطابقاً لما أمر الله تعالى به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كانت من أشرف العلوم وأنفعها لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله تعالى ومرضاته جل وعلا وإصلاح الدنيا والآخرة فلا عيب فيها إذن، كما قال تعالى : [**وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا استطعتم مِّن قُوَّةٍ**][1] ؛ فالعمل في إعداد المستطاع من القوة امتثالاً

---

(١) الأنفال : ٦٠

لأمر الله تعالى وسعياً في مرضاته وإعلاء كلمته ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة[1].

ثانياً : الذم الشديد لعامة الناس الذين يعلمون ويهتمون بأمور الدنيا كل الاهتمام، وعلى الرغم من ذلك فهذا العلم وهذا الاهتمام ظاهري، أما أمور الآخرة فتجدهم في جهل مركب لا يعرف الكثير مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وحول ذلك يقول السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**] : ومن العجب أن هذا القسم من الناس الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحيّر العقول، ويدهش الألباب، وأظهروا من العجائب : الذرية، والكهربائية، والمراكب البرية، والبحرية، والهوائية، ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم اللهّ تعالى عليه فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي

---

(١) انظر : الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٦، ص ٢٥٠.

ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون نسوا الله عز وجل فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون[1].

ثالثاً : التأكيد على أهمية القرآن الكريم، ومكانته، وعظمته، وهدايته ؛ فقال تعالى : [**وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**][2] ، يقول أبو السعود - رحمه الله - عند هذه الآية : [**وَهَـٰذَا**] أي: القرآن الكريم [**كِتَابٌ**] عظيمُ الشأنِ لا يقادَر قدْرُه، وقوله تعالى: [**أنزلناه مُبَارَكٌ**] أي : كثيرُ المنافع ديناً ودنيا صفتان للكتابُ، أو أي : أنزلناه مشتملاً على فنون الفوائدِ الدينية والدنيوية التي فُصِّلت عليكم طائفةٌ منها، وقوله تعالى : [**فَاتَّبِعُوهُ**] أي : فإن عِظمَ شأنِ الكتابِ في نفسه وكونَه منزلاً من جنابه عز وجل مستتبعاً للمنافع الدينية والدنيوية موجبٌ لإتباعه [**وَاتَّقُوا**] مخالفتَه [**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**] بواسطة إتباعه والعمل بموجبه[3].

رابعاً : إن المسلمين اليوم ليسوا لهم أي عذر في عدم إتباع القرآن الكريم فقد اتضحت الصورة الحقيقية لمصداق القرآن الكريم، وتوافرت كل

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٦٣٦.

(٢) الأنعام : ١٥٥

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٢، ص ٤٥٢.

المعلومات وبشتى الوسائل التي بينت أهمية القرآن الكريم، وأنه الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأنه الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى ورعايته، فقال سبحانه: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ](1).

فالواجب على المسلمين عموماً حكاماً ومحكومين، صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً الاهتمام بالقرآن الكريم، والعناية به بشتى صور العناية من حفظ، وتدبر، وتطبيق في شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، حاضراً ومستقبلاً.

خامساً: العناية والاهتمام بذكر الله تعالى، وقد أوضحت الآية الكريمة: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ](2) جوانب مهمة للغاية في المداومة على ذكر الله تعالى، وَذِكْر الأساليب المهمة لهذا الذكر، ومن أهم ما أشارت إليه الآية كما ذكره الثعالبي - رحمه الله - في تفسيره عند هذه الآية ما يلي:

---

(1) الحجر: ٩.

(2) الأعراف: ٢٠٥

١ - الخطاب موجه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ويعمُّ جميعَ أمته، وهو أمر من اللهَّ تعالَى بذكْره، وتسبيحِهِ، وتقديسِهِ، والثناءِ عليه بمحامدِهِ، والجمهورُ على أن الذِّكْر لا يكون في النفْسِ ولا يراعَى إلا بحركة اللسَانِ، ويُدلُّ على ذلك من هذه الآية قوله : [**وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**] وهذه مرتبةُ السرِّ والمخافتة.

٢ - المراد بقوله تعالى : [**واذكر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ**] كونُه عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه مستحضراً لصفاتِ الجلالِ والعظمة، وذلك أن الذكْرَ باللِّسَان إذَا كان عارياً عن الذكْر بالقلْب كان عدِيمَ الفائدة، وكما قال صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم وقد جهروا بالدعاء فوق المقدار : " ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا "[1].

٣- وقوله تعالى : [**وَلاَ تَكُن مِّنَ الغافلين**] يدُلُّ على أن الذكْرَ القلبيَّ يجبُ أن يكون دائماً، وألاَّ يغفُلَ الإنسان لحظةً عن استحضار جلالِ اللهَّ تعالى وكبريائِهِ بقَدْر الطاقةِ البشريَّة.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم : ٣٨٨٣.

٤- عدم تركُ الذِّكْر لِعَدَمِ حُضُورك مع اللهَّ تعالى فيه لأن غفلتك عن وُجودِ ذكْرِهِ أشدّ مِنْ غفلتك في وجودِ ذكْرِهِ فعسى أن يرفعك مِنْ ذكْرٍ مع وجود غفلة إلى ذكْرٍ مع وجودِ يَقَظَةٍ، ومن ذِكْرٍ مع وجود يقظةٍ إلى ذكْرٍ مع وجودِ حُضُورٍ، ومِنْ ذكْرٍ مع وجود حضور إلى ذكْرٍ مع وجود غيبة عمَّا سوى المذْكُور، وما ذلك على اللهَّ بعزيز[1].

سادساً : العناية التامة بالإكثار من ذكر الله تعالى في كل لحظة، وعدم الغفلة عن ذلك، ولذا قال تعالى : [**وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**]، وأوضح السعدي - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : الذين نسوا اللهّ فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن من كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي : الإكثار من ذكر اللهّ تعالى آناء الليل والنهار، خصوصا طَرَفَيِ النهار مخلصاً خاشعاً متضرعاً متذللاً ساكناً متواطئاً عليه قلبه ولسانه بأدب ووقار وإقبال على الدعاء والذكر وإحضار له بقلبه وعدم غفلة ؛ فإن اللهّ تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه[2].

---

(١) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٣١٤.

سابعاً : العناية بالقصص القرآني والحرص على ما فيها من دروس وعبر لأنها قصص أوردها الحق سبحانه وتعالى ؛ فهي حقيقة لا خيال من جهة، وهي جزلة في معانيها وألفاظها وتعبيراتها من جهة أخرى.

يقول ابن عاشور - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**][1] : وجعل الله تعالى هذا القَصص أحسن القصص لأنّ بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس، وقصص القرآن الكريم أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه، وإعجاز أسلوبه، وبما يتضمّنه من العبر والحكم.

وأضاف - رحمه الله - فكلّ قصص في القرآن الكريم هو أحسن القصص في بابه، وكلّ قصة في القرآن العظيم هي أحسن من كلّ ما يقصّه القاصّ في غير القرآن الكريم ؛ فإنّ القصص الوارد في القرآن الكريم كان أحسن لأنّه وارد من العليم الحكيم ؛ فهو يوحي ما يعلم أنّه أحسن نفعاً للسّامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذّوق ممّا لا تأتي بمثله عقول البشر[2].

---

(١) يوسف : ٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٢٢٣.

وعن كمال ودقة القصص القرآني يقول ابن عادل - رحمه الله - عند تفسير الآية السابقة : ذَكر الله تعالى أقاصيصَ الأنبياء - عليهم السلام - في القرآن الكريم وكرَّرها بمعنى واحدٍ في وجوهٍ مختلفة بألفاظ متباينة على درجات المبالغة، وقد ذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام ولم يكرِّرها فلم يقدر مخالفٌ على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير المتكرِّر[1].

ثامناً : أهمية العناية التامة بها في القرآن الكريم من الهدايات المتنوعة، ومنها : القصص القرآني لأن فيها من العبر والدروس والنظم والبلاغة والفصاحة ما يشوق السامع، وينبه الغافل، ويسلي المحزون؛ فهي دروس عظيمة تتوافق مع احتياجات الإنسان النفسية، والعقلية، والاجتماعية.

فعلى سبيل المثال : إن قصة يوسف عليه السلام قال عنها بعض المفسرين أن فيها الكثير من العبر، والحكم، والنُّكتِ، والفوائد التي تصلْح للدِّين والدُّنيا، من سير الملوكِ، والمماليكِ، والعلماء، ومكرِ النِّساء، والصبْر على أذى الأعداء، وحسن التَّجاوزِ عنهم بعد الالتقاء، وغير

(١) ابن عادل، اللباب، ج ٩، ص ٢٠١.

ذلك من الفوائد . وقال عطاء - رحمه الله - : لا يَسْمع سُورةَ يُوسف محْزُونٌ إلا استراح لها[1].

تاسعاً : إن الدنيا محدودة الزمان والمكان مهما اتسعت، ومهما طال زمنها ؛ فهذه حقيقة عقلية وشرعية، فيجب على الإنسان المسلم العاقل أن يستغل أيامها في طاعة الله تعالى قبل أن يداهمه الأجل، وقد قيل : (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة)، وأن يبتعد عن اللهو بأنواعه الذي فيه مشغلة للفكر وللقلب، ولا يجلب له إلا الحسرة والندامة.

وصدق الشاعر إذ يقول :

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة والنفس طماعة فالزمها القناعة

وقال الرازي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**][2] إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين ؛ فيكون أقرب إلى تلافي الذنوب والتحرر عنها خوفاً من ذلك[3].

---

(١) ابن عادل، اللباب، ج ٩، ص ٢٠٢.

(٢) الأنبياء : ١

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٤٩٢.

ويقول السعدي - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : وهذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قَرُب حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون أي : غفلة عما خلقوا له، وإعراض عما زجروا به كأنهم للدنيا خلقوا وللتمتع بها ولدوا، وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم[1].

عاشراً : يجب أن يحذر المسلم من شدة الغفلة التي يصاحبها إعراض عن ذكر الله تعالى مهما حصل له التذكير، وحول ذلك يقول الرازي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**][2] : فاعلم أنه تعالى وصف الناس بأمرين الغفلة والإعراض، أما الغفلة : فالمعنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء، ثم إذا انتبهوا من سِنَة الغفلة ورقدة الجهالة مما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم[3].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٥١٨.

(٢) الأنبياء : ١

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٤٩٢.

ويقول ابن عاشور - رحمه الله - عند تفسير هـذه الآية : والمعنى : أنهم غافلون عن الحساب وعن اقترابه، وإعراضهم هو إبايتهم التأمل في آيات القرآن الكريم التي تذكرهـم بالبعث وتستدل لهم عليه[1].

الحادي عشر : الاستعداد والتهيؤ ليوم الحساب يوجب على المسلم الحذر كل الحذر من الغفلة المنسية التي تجعل الإنسان لاهياً يومه وليله لا يقيم لله تعالى عبادة، ولا يؤدي لله جل جلاله حقاً فهو أشبه حال بمن ذهـب عقله وتاه فكره لا هم له إلا شهوته ورغباته حلالاً كانت أم حراماً.

يقول السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**لَقَدْ كُنْـتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَـوْمَ حَدِيـدٌ**][2] أي: يقـال للمعرض المكـذب يوم القيامـة هذا الكلام توبيخًا ولومًـا وتعنيفًـا أي : لقد كنت مكذبًا بهذا تاركًا للعمل له فالآن [**كشفنا عَنْكَ غِطَاءَكَ**] الذي غطى قلبك فكثر نومك واستمر إعراضك [**فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**] ينظر ما يزعجه ويروعه من أنواع العذاب والنكال[3].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩، ص ١٢٢ .

(٢) ق : ٢٢

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٨٠٥.

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هذا الفصل والذي تضمن الحديث عن : العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي، يمكن أن نلخص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : الذم الشديد لعامة الناس الذين يعلمون ويهتمون بأمور الدنيا كل الاهتمام، أما أمور الآخرة فتجدهم في جهل مركب لا يعرف الكثير مما هو معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى : [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**](١).

ثانياً : التأكيد على أهمية القرآن الكريم ومكانته وعظمته وهدايته قال تعالى : [**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**](٢).

ثالثاً : العناية والاهتمام بذكر الله تعالى في كل الأحوال، قال عز وجل : [**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**](٣).

---

(١) الروم : ٧.

(٢) الأنعام : ١٥٥.

(٣) الأعراف : ٢٠٥.

رابعاً : العناية بالقصص القرآني والحرص على ما فيها من دروس وعبر لأنها قصص أوردها الحق سبحانه وتعالى فهي حقيقة لا خيال من جهة، وهي جزلة في معانيها وألفاظها وتعبيراتها من جهة أخرى.

خامساً : إن الدنيا محدودة الزمان والمكان مهما اتسعت ومهما طال زمنها فهذه حقيقة عقلية وشرعية، فيجب على الإنسان المسلم العاقل أن يستغل أيامها في طاعة الله تعالى قبل أن يداهمه الأجل.

سادساً : الاستعداد والتهيؤ ليوم الحساب يوجب على المسلم الحذر كل الحذر من الغفلة المنسية التي تجعل الإنسان لاهياً يومه وليله لا يقيم لله تعالى عبادة ولا يؤدي لله عز وجل حقاً فهو أشبه حال بمن ذهب عقله وتاه فكره لا هم له إلا شهوته ورغباته حلالاً كانت أم حراماً.

الفصل الخامس

الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء

تمهيد.

إن الخير والشر وجدا مع وجود الإنسان على وجه الأرض، وقصة هابيل وقابيل التي حكاها القرآن الكريم في سورة المائدة تؤكد ذلك وتوضحه، قال تعالى: [**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**][1].

كما إن اختلاف الثقافات، والمجتمعات، والتوجهات، والتصورات، وقبلها اختلاف الفكر والأفهام بين الناس قد يؤدي إلى عداوت معينة بين أفراده وجماعاته، وهذا يحدث في أي مجتمع إنساني حتى في عصر النبوة والخلافة الراشدة حدث ما حدث فيه من صراعات وخلافات.

ولذلك يجب على الإنسان العاقل الحكيم أن يحذر من الناس على وجه العموم عند تعامله معهم، بل يجب عليه الحذر من أقرب الناس إليه من زوجة وأولاد، ولذا قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**

---

(١) المائدة: ٢٧.

وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ][1].

وقد ذكر السعدي - رحمه الله - كلاماً جميلاً حول معنى هاتين الآيتين حيث يقول : وهذا تحذير من الله تعالى للمؤمنين من الاغترار بالأزواج والأولاد فإن بعضهم عدو لكم ؛ والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده من الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد التي فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية، والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية.

وأضاف - رحمه الله - : بأنه لما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره ؛ فقال: [وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] لأن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفا

---

(١) التغابن : ١٤ - ١٥.

الله سبحانه عنه، ومن صفح صفح عنه، ومن عامل الله عز وجل فيما يحب، وعامل عباده بما يحبون فينفعهم، نال محبة الله تعالى ومحبة عباده[1].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا الحسنة يحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بِشْره ولا خُلقه[2].

أ : الآيات التي وردت فيها الغفلة عن الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء.

وردت في هذا الفصل آيتان كريمتان ركزتا على أهمية الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء، وهي :

أولاً : قال تعالى : [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا][3] .

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٨٦٨.

(٢) انظر : القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط ٣، ص ٨١.

(٣) النساء : ١٠٢.

ثانياً : قال تعالى : [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ][1].

ب – المضامين التربوية للآيتين الكريمتين المشار إليهما.

بعد الإطلاع على بعض كتب التفسير لمعرفة أقوال العلماء وتأويلاتهم وما خلصوا إليه في فهم الآيتين المشار إليهما، وبالنظر والتأمل في هذه الأقوال وجدتها تضمنتا مجموعة من المضامين التربوية، ومن أهمها ما يلي:

أولاً : أهمية العناية والاهتمام الشديدين بأمر الصلاة وتأديتها بكامل أركانها، وواجباتها، وسننها، وأوقاتها المحددة، وعدم التهاون فيها حتى في أوقات الحرب مع العدو، والتي سماها العلماء " صلاة الخوف".

ويعلق سيد قطب – رحمه الله – في الظلال على هذه الآية : [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

---

(١) القصص : ١٤ – ١٥.

فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ][1] بكلام جميل وأدبي راقي ؛ فيقول : إن المتأمل في أسرار هذا القرآن الكريم وفي أسرار المنهج الرباني للتربية المتمثل فيه يطلع على عجب من اللفتات النفسية النافذة إلى أعماق الروح البشرية ومنها هذه اللفتة في ساحة المعركة إلى الصلاة.

وأضاف - رحمه الله - : إن السياق القرآني لا يجيء بهذا النص هنا لمجرد بيان الحكم الفقهي في صفة صلاة الخوف، ولكنه يحشد هذا النص في حملة التربية والتوجيه والتعليم والإعداد للصف المسلم وللجماعة المسلمة، وأول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة في ساحة المعركة! ولكن هذا طبيعي بل بديهي في الاعتبار الإيماني لأن هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة بل إنها السلاح! فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة وجو المعركة![2].

ثانياً : بيان أهمية السجود، وأنه أحد أركان الصلاة العظيمة، ويقول السعدي - رحمه الله - في تفسيره عند قوله تعالى : [**فَإِذَا سَجَدُوا**] بأن عُبر

---

(١) النساء : ١٠٢

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص ٢٢٧.

عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها[1].

والمسلم في حقيقة الأمر عندما يضع جبهته - وهي أعظم وأشرف مكان في الإنسان - على الأرض يناجي ربه يستشعر لذة ومتعة الصلاة، وروعة العبودية، وجمالها، والمسلم الذي لا يستشعر ذلك يراجع نفسه، ويبحث عن الأسباب الصارفة عن تحقيق ذلك.

ولأهمية الموضوع يكون من المناسب الإشارة إلى بعض الأحاديث الشريفة الواردة في فضل السجود، وهي كثيرة جداً، ومنها:

الحديث الأول : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"[2].

الحديث الثاني : عَنْ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي :

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ١٩٨.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم : ٧٤٤.

سَلْ فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ قَالَ : " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ "[1].

الحديث الثالث : عَنْ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ أَوْ قَالَ قُلْتُ بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً "[2].

الحديث الرابع : قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ "[3].

ثالثاً : يقول السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ**

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم : ٧٥٤.

(٢) صحيح مسلم : حديث رقم : ٧٥٣.

(٣) صحيح مسلم : حديث رقم : ٧٣٨.

وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ... الآية][1] تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين :

أحدهما : إن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم ؛ فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أَوْلَى وأحرى.

ثانيهما : إن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيراً من الشروط واللوازم ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المبطلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها[2].

رابعاً : كما يقول السعدي – رحمه الله – أيضاً : وتدل الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد، ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوها بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم.

---

(١) النساء : ١٠٢.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ١٩٨.

خامساً : تكررت في الآية الكريمة[1] المشار إليها [**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**] مرتين مما يؤكد أشد التأكيد على الحذر من الأعداء، وعدم الغفلة عن خططهم ومؤمراتهم، ومن أقوال علماء التفسير في ذلك ما يلي :

١ - يقول البغوي - رحمه الله - :

[**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**] أي : راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر ما يُتقَى به من العدو[2].

٢ - يقول السعدي - رحمه الله - :

الحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين، والميل عليهم وعلى أمتعتهم، ولهذا قال تعالى: [**وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً**][3].

٣- يقول البيضاوي - رحمه الله - :

جُعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ، ونظيره قوله تعالى : [**والذين تَبَوَّءوا الدار والإيمان**] [**وَدَّ الذين كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً**

---

(١) النساء : ١٠٢

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ١٩٨.

واحدة] تمنوا أن ينالوا منكم غِرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ الحذر والسلاح[1].

٤ - يقول سيد قطب - رحمه الله - :

الذي يلفت النظر في هذا النص هو هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو، وهذا الحذر الذي يوصى المؤمنون به تجاه عدوهم الذي يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم ليميل عليهم ميلة واحدة ! ومع هذا التحذير والتخويف التطمين والتثبيت إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قوماً كتب الله تعالى عليهم الهوان : [**إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**]، وهذا التقابل بين التحذير والتطمين، وهذا التوازن بين استثارة حاسة الحذر وسكب فيض الثقة هو طابع المنهج في تربية النفس المؤمنة، والصف المسلم في مواجهة العدو الماكر العنيد اللئيم![2].

سادساً : أهمية المنهج القرآني التربوي للنفس البشرية، وأنه هو المنهج الفريد العظيم الذي يصلح لها ويتناسب مع فطرتها وظروفها النفسية والفكرية والتصورية.

---

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ٤٩٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص ٢٢٨.

فلله تعالى أعظم حمد وثناء على ما مَنَّ به على المؤمنين وأيَّدَهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات[1].

سابعاً : العمل على تشديد الرقابة، وزيادة الحيطة والحذر، واستخدام الكفاءات البشرية، والوسائل العلمية المتطورة غاية التطوير في حراسة أمور البلاد، وخاصة ما كان منها على المنافذ المؤدية إلى الدخول إلى البلاد البرية، والبحرية، والجوية حتى لا يدخل إليها من يريد الإفساد فيها بشتى صوره مع مراعاة الآتي :

١- العمل على وضع الأنظمة الإدارية والرقابية والعقوبات اللازمة لكل من تسوّل له نفسه العبث بأمن الدولة وممتلكاتها.

٢- تشديد الرقابة في الأوقات التي عادة ما يميل الناس فيها إلى الراحة وهي : وقت الظهيرة، وعند حلول الظلام، وبعد صلاة الفجر.

ثامناً : أن يحرص المسلم على البعد عن العصبية المقيتة التي تؤدي إلى سفك الدماء، وزعزعة الأمن، والاستقرار الاجتماعي، وهذا الأمر وما يماثله من أمور الجاهلية التي سعى الإسلام إلى نبذها والقضاء عليها والتشنيع ممن يزاولها أو يدعو إليها.

---

(١) انظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ١٩٨.

وبمجيء الرسالة الخاتمة والنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم نبذ العنصرية، وشدد على الداعي إليها، وعاش عصر صدر الإسلام الأول نموذجاً فريداً من التلاحم والتآخي بين أفراده ؛ فكان بينهم صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي رضي الله عنهم، فكانوا أمة واحدة على دين الإسلام شعارهم الإسلام له وبه ومن أجله يعيشون ويموتون.

ويصدق ذلك قول الشاعر :

أبي الإسلام لا أبَ لي سِوَاهُ إذا افتخروا بقيسٍ أوتميمِ

تاسعاً : أن يحرص الإنسان المسلم على العدل في كل أموره، وألا يحيف مع شخص دون آخر أو مع عرق دون آخر لأي سبب من الأسباب، وهذا مطلب شرعي أكد عليه القرآن الكريم ؛ فقال تعالى : [**إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**][1] ، وقال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهَّ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**][2].

---

(١) النحل : ٩٠

(٢) المائدة : ٨.

عاشراً : الإنسان الذي عافاه الله تعالى في سائر بدنه، ومنحه الله عز وجل بسطة في العلم والجسم يجب أن يستعمل كل ذلك في ما يرضي الله تعالى، ولا يطغى أو يتجبر ويتكبر في التطاول على الناس أو الاعتداء عليهم بأي صورة من صور الاعتداء غير المشروع، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الحادي عشر : يجب على المسلم أن يكون رجَّاعاً بشكل دائم ؛ فمتى حصل منه تقصير في جنب الله تعالى آب ورجع إلى الله جل جلاله واستغفر وندم ووعد وعزم على عدم العودة إلى ما وقع فيه من أخطاء، وهذه من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلص من عباده الصالحين ؛ فقال تعالى ممتدحاً نبيه داود عليه السلام : [**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**][1] ، وقوله في الثناء على نبيه إبراهيم عليه السلام : [**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**][2].

---

(١) ص : ٣٠

(٢) هود : ٧٥.

قال الجزائري - يحفظه الله - في تفسيره : إن إبراهيم عليه السلام رقيق القلب حليم لا يعامل بالعقوبة، وكان أواهاً ضارعاً قانتاً تواباً رجّاعاً إلى ربّه عز وجل في كل وقت[1].

الثاني عشر : الحذر الشديد من عداوة الشيطان للإنسان وتزيينه للمعاصي والذنوب بكافة الخطوات والطرق لكي يوقع الإنسان في حبائله ثم يفر منه، فقد قال موسى عليه السلام عندما وقع منه الخطأ بقتل القبطي : [**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**][2].

يقول ابن عاشور - رحمه الله - في تفسيره عند قوله تعالى : [**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**] : إن هذا تعليل لكون شدة غضبه من عمل الشيطان إذ لولا الخاطر الشيطاني لاقتصر على زجر القبطي أو كفه عن الذي من شيعته، فلما كان الشيطان عدواً للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفس أنه فعل ناشئ عن وسوسة الشيطان، ولولاها لكان عمله جارياً على الأحوال المأذونة[3].

---

(١) الجزائري، أيسر التفاسير، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) القصص :١٥.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٣٦٧.

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هذا الفصل والذي تضمن الحديث عن : الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء، يمكن أن نلخص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : أهمية العناية والاهتمام الشديدين بأمر الصلاة وتأديتها بكامل أركانها، وواجباتها، وسننها، وأوقاتها المحددة، وعدم التهاون فيها حتى في أحلك الظروف والأحوال كأوقات الحرب مع العدو والمرض.

ثانياً : التأكيد على الحذر من الأعداء، وعدم الغفلة عن خططهم ومؤامراتهم.

ثالثاً : أهمية المنهج القرآني التربوي للنفس البشرية وأنه هو المنهج الفريد العظيم الذي يصلح لها ويتناسب مع فطرتها وظروفها النفسية والفكرية والتصورية.

رابعاً : العمل على تشديد الرقابة وزيادة الحيطة والحذر واستخدام الكفاءات البشرية والوسائل العلمية المتطورة غاية التطوير في حراسة أمور البلاد، وخاصة ما كان منها على المنافذ المؤدية للدخول إلى

الفصل السادس

العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين

تمهيد.

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وهي جبلة جبله الله تعالى عليها، وبسبب ظروف التنشئة، والعادات والتقاليد، والمورثات الاجتماعية، والنفسية، والسلوكية يميل بعض الناس إلى سلوكيات سلبية معينة تسئ إلى الآخرين سواء من ذوي رحمه أو من غيرهم.

والإسلام دين الكمال والجمال والإحسان جاء بشرائع في غاية الجودة والإتقان لتنظيم الحياة الاجتماعية، وتنظيم الروابط الأخوية بين المسلمين وغير المسلمين لكي يعيش العالم كله بأمن وسعادة وسلام.

والتوجيهات الشرعية الشاملة والعامة لتنظيم الحياة الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين كثيرة جداً، ومن ذلك : قوله تعالى : **[وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا]**[1]

---

(١) النساء : ٣٦.

وقوله تعالى [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][1].

وقوله تعالى : [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ][2].

وقوله تعالى : [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ][3].

وقوله تعالى : [وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا][4].

---

(١) الأنعام : ١٥١.

(٢) (النحل ٩٠ -٩١).

(٣) البقرة : ٨٣.

(٤) الإسراء : ٥٣.

وقوله صلى الله عليه وسلم : " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي "[2].

وقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟! حينما أدَّب عمر بن الخطاب ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم لأنه ضرب الشاب القبطي الذي فاز عليه في السباق، وهذا قمة التعامل الأخلاقي في عصر الإسلام لم يشهد له مثيلاً عبر التاريخ قديمه وحديثه.

والتوجيهات الشرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وسيرة السلف الصالح زاخرة بمثل هذه النماذج المضيئة، وما ذكرناه فيه الكفاية للتنبيه على سمو التنظيم الإسلامي الفريد للعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم : ٢٢٦٢.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم : ١٤٧.

أ : الآيات التي وردت فيها الغفلة عن العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين.

وردت في هذا الفصل ثلاث آيات كريمات ركزت على العناية بالعلاقات الاجتماعية، وحسن التعامل مع الآخرين، وهي :

أولاً : قال تعالى : [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا](١).

ثانياً : قال تعالى : [قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ، أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ، قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ](٢).

ثالثاً : قال تعالى :[إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ](٣).

ب – المضامين التربوية للآيات الكريمات المشار إليها.

---

(١) الكهف :٢٨.

(٢) يوسف : ١١ - ١٣.

(٣) النور : ٢٣.

بعد الإطلاع على بعض كتب التفسير لمعرفة أقوال العلماء وتأويلاتهم وما خلصوا إليه في فهم الآيات المشار إليها، وبالنظر والتأمل في هذه الأقوال وجدتها تضمنت مجموعة من المضامين التربوية ومن أهمها ما يلي :

أولاً : يجب على المسلم أن يحرص أشد الحرص مع الصبر والمجاهدة على مصاحبة المؤمنين الأخيار الذين يحافظون على جميع صلواتهم وأذكارهم في أول النهار وآخره مخلصين لله تعالى لا يريدون بذلك إلا رضاه جل وعلا.

يقول السعدي – رحمه الله – عند قوله تعالى : [**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**][1] يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وهو خطاب لأمته أن يصبر نفسه مع المؤمنين العبّاد المنيبين [**الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**] أي : أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله عز وجل فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها ففيها الأمر بصحبة الأخيار

---

(١) الكهف :٢٨

ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى[1].

ثانياً : إن الإسلام يدعو إلى مصاحبة الأخيار بغض النظر عن غناهم أو فقرهم، فليس الغنى والفقر مقياس في اختيار الأصحاب بل المقياس في ذلك الصلاح والتقوى.

أوضح الشنقيطي - رحمه الله - عند قوله تعالى : [**وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحياة الدنيا**] : نهى الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن تعدو عيناه عن ضعفاء المؤمنين وفقرائهم تطلعاً وطموحاً إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا، ومعنى [**وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ**] : أي لا تتجاوزهم عيناك وتحتقر رثاثة زيهم طامحاً إلى أهل الغنى والجاه والشرف بدلاً منهم[2].

ثالثاً : التخفف من الدنيا وعدم الحرص على زينتها ومكاسبها، يقول السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : [**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**] فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية فإن ذلك يوجب

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٤٧٥.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٣، ص ٣٣٢.

تعلق القلب بالدنيا فتصير الأفكار والهواجس فيها وتزول من القلب الرغبة في الآخرة فإن زينة الدنيا تروق للناظر وتسحر العقل فيغفل القلب عن ذكر الله عز وجل ويقبل على اللذات والشهوات فيضيع وقته وينفرط أمره فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية[1].

رابعاً : البعد عن أهل المعصية ومن هم في غفلة عن طاعة الله تعالى، يعلق الشنقيطي – رحمه الله – عند قوله تعالى : [**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتبع هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**] : بأن الله جل وعلا نهى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة عن طاعة من أغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً[2].

ويضيف – رحمه الله – إن الله تعالى كرر في القرآن الكريم النهى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن إتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله عز وجل المتبع هواه ؛ كقوله تعالى في عدة آيات منها :

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٤٧٥.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٣، ص ٣٣٣.

الآية الأولى : قوله تعالى : [فاصبر لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً][1].

الآية الثانية : وقوله تعالى : [وَلاَ تُطِعِ الكافرين والمنافقين وَدَعْ أَذَاهُمْ][2].

الآية الثالثة : وقوله تعالى : [وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ][3].

الآية الرابعة : وقوله تعالى : [فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدنيا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ العلم][4].

خامساً : البعد عن الكذب، والمحافظة على الصدق في التعامل مع الناس عموماً ؛ فهو خلق كريم من أخلاق فضلاء الناس، وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد جاءت أحاديث شريفة كثيرة تؤكد أهمية الصدق، والبعد عن الكذب ؛ فمن ذلك ما يلي :

---

(١) الإنسان : ٢٤.

(٢) الأحزاب : ٤٨.

(٣) القلم : ٩-١٣.

(٤) النجم : ٢٩-٣٠.

الحديث الأول : الحديث المشهور المروي في الصحيحين وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا "(١).

الحديث الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : " الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ "(٢).

الحديث الثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا "(٣).

سادساً : الحذر من حيل الناس ومناوراتهم حتى وإن طيَّبوا الكلام ؛ فالمؤمن كيس فطن حذر، وخصوصاً في الأمور العظيمة التي يترتب عليها حوادث ونتائج خطيرة، قال الله تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا**

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم : ٥٦٢٩، صحيح مسلم، حديث رقم : ٤٧١٩.

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم : ٢٤٤٢.

(٣) ابن حنبل، المسند، حديث رقم : ٨٢٣٨.

حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا][1]، وقوله تعالى : [وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا][2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة الناس أجمعين يَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَلاَ خُلُقَهُ[3].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لَسْتُ بِالْخِبِّ وَلَا يَخْدَعُنِي الْخِبُّ[4].

سابعاً : إن الابتلاء من سنن الحياة ولوازمها، وليس خاصاً بالعاصين والمقصرين ؛ بل إنه يقع على الصالحين وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي الحديث الشريف عَن رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[5].

---

(١) النساء : ٧١

(٢) النساء : ١٠٢ .

(٣) انظر : الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم : ١٧٨٦٨ ، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط ٣، ص ٨١.

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ١٣ .

(٥) ابن حنبل، المسند، حديث رقم : ٢٥٨٣٢ .

ولقد قص علينا القرآن الكريم قصصاً كثيرة لعدد من الأنبياء عليهم السلام، وكلها تدور حول ما لاقوه من مصائب وابتلاءات ؛ فهناك قصة إبراهيم عليه السلام مع النمروذ بن كنعان ومع والده، وقصة موسى مع فرعون، وقصة يعقوب وفقده لابنه يوسف، وقصة نوح مع ابنه الذي بقي على الشرك، وخاتمهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقد لاقى ما لاقى في دعوته من الرزيا ومن المصائب ما لم يذقه نبي قبله فصبر وجاهد في الله تعالى حق جاهده حتى أتاه اليقين.

ولا شك أن هذه البلايا عاقبتها حسنة، وليس للإنسان إلا الصبر الجميل، وسوف يجازيه الله تعالى الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة، قال تعالى : [**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**](1).

ثامناً : العناية التامة بالمحافظة على تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة، وتعليمهم الأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية السامية النبيلة في

---

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٧.

التعامل مع الآخرين، والتأكيد عليهم في الانتباه والحذر من الآخرين والحرص على مصاحبة الأخيار المعروفين بصلاحهم وتجنب رفقاء السوء.

ويمكن الرجوع لمن أراد المزيد حول تربية الأولاد في الإسلام إلى كتابي : (**الذرية في القرآن الكريم وبه مجموعة كبيرة من التوجيهات التربوية المفيدة في تربية الأولاد**).

تاسعاً : العناية بالمحافظة على حقوق الآخرين الحسية، والمعنوية، ورعايتها حق الرعاية، فكثير من الناس في زماننا لا يهتم بالمحافظة على حقوق الآخرين، فمثلاً يقوم بالاستدانة من شخص مبلغاً معيناً ثم لا يقوم بإعادته له إلا بشق الأنفس وبعد أن يكون عليه قائماً، وهناك من يستعير سيارة، أو كتاباً، أو أي شيء عيني ثم لا يحافظ عليه وربما أتلفه ... الخ

والأدهى من ذلك والمؤلم أشد الألم الاستهتار الشديد في المحافظة على الأموال العامة ؛ فتجد الشخص في ذلك غير مبالٍ أشد اللامبالاة وكأن الأمر لا يهمه أو يعنيه بشيء، ولكن إذا كان الأمر يخصه ولو كان تافهاً ذلك الأمر، أو حقيراً ؛ فتجده منتبهاً يقظاً لا تفوته فائتة فيحاسب نفسه والآخرين أشد محاسبة عليه.

وبهذه التصرفات السلبية بعد أن كثرت أصبحت هناك ردة فعل شديدة لدى خيار الناس من تقديم المساعدات والقروض الحسنة للناس المحتاجين بسبب سوء التقاضي من الآخرين.

فحري بك أخي المسلم - رحمك الله - أن تعلم أن إرجاع الحقوق لأصحابها من الأمانة التي يجب على الإنسان أن يؤديها، بل عليه أن يشعر بعد أدائها بأنه مدين له بحسن وكرم عطائه، وهذا خُلق إسلامي نبيل يجب أن نحافظ عليه وإلا إن تركناه وتساهلنا فيه فسيترتب على ذلك اللجوء إلى طرق وحيل ربما غير شرعية قد تؤدي إلى ارتكاب بعض المخالفات والمحرمات الشرعية.

عاشراً : بيان أهمية الإيمان في حياة المسلم، وأنه الحصين الحصين والركن الركين في التوجه لله تعالى بالعبادة، وفي عناية الله تعالى له وحفظه من كل مكروه.

وقد توعد الله تعالى من يلحق الأذى بالمؤمنين الصادقين أن الله تعالى يدافع عنهم ؛ فقال تعالى : [**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**][1].

---

(١) الحج : ٣٨.

ويقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره : يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: [**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**][1] وقال تعالى : [**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**][2].

الحادي عشر : المحافظة على أعراض الناس، وعدم تدنيسها بأي قول أو فعل لأن ذلك مما يؤثر في تماسك المجتمع المسلم ووحدته، ويجب أن نذب عن أعراض إخواننا من أن تدنس بغيبة أو نميمة من قبل المرجفين وسيئ الأخلاق.

وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[3].

الثاني عشر : يجب على الوالدين، والمعلمين، والوعاظ، والمرشدين، وأئمة المساجد أن ينبهوا إلى خطورة وجرم إيذاء الآخرين والنيل من

---

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: ١٨٥٤.

أعراضهم، وبيان الوعيد الشديد المترتب عليه من الله تعالى وأن لـه مـن الله سبحانه أشد العذاب وهو اللعن والطرد من رحمة الله تعالى.

يقول طنطاوي - حفظه الله - في تفسيره عند قوله تعالى : [**لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**] أي : طردوا من رحمة الله تعالى في الدنيا وفى الآخـرة، وفوق كل ذلك لهم منه تعالى عـذاب عظيم لا تحيط العبارة بوصفه[1].

الخلاصة.

مما سبق عرضه في هـذا الفـصل، والـذي تـضمن الحـديث عـن : العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مـع الآخـرين، يمكـن أن نلخـص أهم ما ورد فيه في النقاط التالية :

أولاً : يجب على المسلم أن يحرص أشد الحرص مع الصبر والمجاهدة على مصاحبة المؤمنين الأخيار الذين يحافظون على جميع صلواتهم وأذكـارهم في أول النهار وآخره.

---

(١) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٣٠٦٣.

ثانياً : البعد عن أهل المعصية ومن هم في غفلة عن طاعة الله تعالى، قال تعالى : [**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتبع هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**] (١).

ثالثاً : البعد عن الكذب، والمحافظة على الصدق في التعامل مع الناس عموماً ؛ فهو خلق كريم من أخلاق فضلاء الناس، وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً : الحذر من حيل الناس ومناوراتهم حتى وإن طيبوا الكلام ؛ فالمؤمن كيس فطن حذر، وخصوصاً في الأمور العظيمة التي يترتب عليها حوادث ونتائج خطيرة.

خامساً : إن الابتلاء من سنن الحياة ولوازمها، وليس خاصاً بالعاصين والمقصرين بل إنه يقع على الصالحين وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

سادساً : العناية التامة بالمحافظة على تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة ، وتعليمهم الأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية السامية في التعامل مع الآخرين.

---

(١) الكهف :٢٨.

سابعاً : بيان أهمية الإيمان في حياة المسلم، وأنه الحصن الحصين والركن الركين في التوجه لله تعالى بالعبادة وفي عناية الله تعالى له وحفظه من كل مكروه.

ثامناً : المحافظة على أعراض الناس وعدم تدنيسها بأي قول أو فعل لأن ذلك مما يؤثر في تماسك المجتمع المسلم ووحدته، ويجب أن نذب عن أعراض إخواننا من أن تدنس بغيبة أو نميمة من قبل المرجفين وسيئ الأخلاق.

الخاتمة :

الحمد لله في الأولى والحمد لله في الآخرة، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد :-

فإن القرآن العظيم يبقى إلى الأبد معيناً لا ينضب، ونبراساً لا يخبو ضوؤه لهداية الناس أجمعين في كل مكان، وفي كل الأزمان في الماضي والحاضر والمستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقول الله تعالى : [**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**][1].

وبتوفيق من الله تعالى وَمَنِّهِ وكَرَمِه اهتديت إلى موضوع أحسبه من الموضوعات المهمة في حياة الناس أجمعين على مختلف مستوياتهم وتخصصاتهم ومعارفهم وعلومهم لما يحمله من جوانب تربوية مهمة للغاية، وقد حاولت بجهد المقل الخروج بدراسة تأصيلية تحوي العديد من المضامين التربوية في توجيه الناس وإرشادهم لما فيه سعادتهم في

---

(١) الإسراء : ٩.

الدنيا والآخرة كل ذلك مستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم في دراسة أسميتها: ((**اِحْذَرُوا الْغَفْلَةَ - دِرَاسَةٌ لِمَوَاضِعِ الْغَفْلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُعَالَجَتِهَا مِنْ مَنْظُورٍ تَرْبَوِيٍ إِسْلَامِي**)).

وقد خلصت الدراسة بعون الله تعالى إلى عدة نقاط مهمة، هي:-

أولاً : قُسِّمت الدراسة إلى مقدمة وسبعة فصول جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول : تمهيدي، ويتضمن : (مصطلحات الدراسة، أقوال بعض علماء التفسير في تعريف الغفلة، أنواع الغفلة في القرآن الكريم، أقسام الغفلة، أقوال بعض السلف - رحمهم الله - حول التغافل).

الفصل الثاني : أهمية التوحيد والإيمان بالله تعالى.

الفصل الثالث : معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره.

الفصل الرابع : العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي.

الفصل الخامس : الاستعداد والتهيؤ وأخذ الحيطة والحذر في مواجهة الأعداء.

الفصل السادس : العناية بالعلاقات الاجتماعية وحسن التعامل مع الآخرين.

الفصل السابع : الخاتمة وشكر وتقدير.

ثانياً : تؤكد هذه الدراسة على أنه لا يزال القرآن الكريم والسنة المطهرة معينين زاخرين بكنوز من المضامين التربوية ويحتاجان فقط من المتخصصين في التربية الإسلامية إلى مزيد من البحث والدراسة والتفكر والنظر لاستخراج هذه الكنوز العظيمة.

ثالثاً : كل ما توصلت إليه هذه الدراسة من مضامين تربوية سبق ذكرها في ثنايا الدراسة فهي على قدر من الأهمية كبير ولكن سوف أشير هنا إلى أبرز هذه المضامين، وهي :

١ - وردت في القرآن الكريم خمس وثلاثون آية كريمة فيها لفظة الغفلة بكافة اشتقاقاتها، وتضمنت خمسة أنواع، وهي : غفلة شديدة عن توحيد الله تعالى، والإيمان به، وغفلة عن معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره، وغفلة عن العناية بالقرآن الكريم وذكر الله تعالى، وغفلة عن حسن التعامل مع الآخرين، وغفلة عن الاستعداد والحذر من الأعداء.

٢- يجب على الإنسان المسلم تحديداً الالتزام الكامل بالمنهج الرباني الكريم (قرآناً وسنة)، وأن يبذل كل طاقته في عبادة ربه، والقيام بالواجبات الشرعية على أكمل وجه.

٣- ركزت تعريفات السلف - رحمهم الله - على أن الغفلة هي : السهو وعدم التفطن للأمور التي من شأنها أن يُهتم بها ويُفطن إليها.

٤- تنقسم الغفلة إلى قسمين رئيسين هما :

حسب نية الغافل، ويُعبر عنها بغفلة مقصودة، وغفلة غير مقصودة، وحسب الفعل، ويُعبر عنها بغفلة محمودة، وغفلة غير محمودة.

٥- سعة رحمة الله تعالى بعباده بأن أرسل لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كي يرشدوهم ويوقظوهم من رقدتهم، وينبهوهم من غفلتهم إلى أهمية عبادة الله تعالى وتوحيده والإيمان به وعدم الإشراك به.

٦- يجب على المسلم الموحد أن يقابل نعمة الهداية للتوحيد بالشكر القولي والعملي لأنه بهذه الهداية العظيمة يتحقق للإنسان بإذن الله تعالى السعادة في الدنيا والآخرة.

٧- أهمية العناية بالتربية الإسلامية التي تعنى بالمحافظة على فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وهذه مسؤولية الوالدين وكافة المؤسسات التربوية في المجتمع.

٨- على الإنسان المسلم العناية التامة باختيار العلماء الموثوق بهم في عقيدتهم وعلمهم، وأن يتحقق ويتأكد ممن يأخذ العلم والفتوى، ويحذر كل الحذر من أخذ العلم من أنصاف المتعلمين ومدعيه لأن هؤلاء لن ينفعوه، وسوف يتبرؤون منه يوم القيامة.

٩- اليقين التام بقدرة الله تعالى العظيمة ودقة علمه سبحانه وتعالى، وإحاطته الكاملة بكل حركات الكون وكل ما فيه صغيره وكبيره، دقه وجله لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض.

١٠- شدة ظلم من كتم الشهادة ولم يؤدها لأن ذلك يترتب عليه مفاسد شخصية واجتماعية كبيرة من ضياع الحقوق لأصحابها، وتوريث الضغائن في النفوس، وتمزيق وحدة المجتمع المسلم، وكثرة الفوضى.

١١ - إن من يملك الإحاطة والعلم المطلق هو المستحق للعبادة وليس غيره، قال تعالى : [**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][1].

١٢ - إن آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته وكمال قدرته مبثوثة في أرجاء الكون كله، قال تعالى : [**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**][2].

١٣ - الذم الشديد لعامة الناس الذين يعلمون ويهتمون بأمور الدنيا كل الاهتمام، أما أمور الآخرة فتجدهم في جهل مركب لا يعرف الكثير مما هو معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى : [**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**][3].

١٤ - التأكيد على أهمية القرآن الكريم ومكانته وعظمته وهدايته، قال تعالى : [**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**][4].

---

(١) هود : ١٢٣.

(٢) النمل : ٩٣.

(٣) الروم : ٧.

(٤) الأنعام : ١٥٥.

١٥ - العناية والاهتمام بذكر الله تعالى في كل الأحوال، قال سبحانه وتعالى : [**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**][1].

١٦ - أهمية العناية والاهتمام الشديدين بأمر الصلاة وتأديتها بكامل أركانها، وواجباتها، وسننها، وأوقاتها المحددة، وعدم التهاون فيها حتى في أوقات الحرب مع العدو.

١٧ - العمل على تشديد الرقابة، وزيادة الحيطة والحذر، واستخدام الكفاءات البشرية، والوسائل العلمية المتطورة غاية التطوير في حراسة أمور البلاد، وخاصة ما كان منها على المنافذ المؤدية للدخول إلى البلاد البرية، والبحرية، والجوية حتى لا يدخل إليها من يريد الإفساد بشتى صوره.

١٨ - أن يحرص المسلم على البعد عن العصبية المقيتة التي تؤدي إلى سفك الدماء، وزعزعة الأمن، والاستقرار الاجتماعي.

١٩ - أن يحرص الإنسان المسلم على العدل في كل أموره، وألا يحيف مع شخص دون آخر أو مع عرق دون آخر لأي سبب من الأسباب.

---

(١) الأعراف : ٢٠٥.

٢٠- يجب على المسلم أن يحرص أشد الحرص مع الصبر والمجاهدة على مصاحبة المؤمنين الأخيار الذين يحافظون على جميع صلواتهم وأذكارهم في أول النهار وآخره.

٢١- البعد عن أهل المعصية ومن هم في غفلة عن طاعة الله تعالى، قال سبحانه: [**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتبع هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**][1].

٢٢- الحذر من حيل الناس ومناوراتهم حتى وإن طيبوا الكلام؛ فالمؤمن كيس فطن حذر، وخصوصاً في الأمور العظيمة التي يترتب عليها حوادث ونتائج خطيرة.

٢٣- المحافظة على أعراض الناس وعدم تدنيسها بأي قول أو فعل لأن ذلك مما يؤثر في تماسك المجتمع المسلم ووحدته، ويجب أن نذب عن أعراض إخواننا من أن تدنس من قبل المرجفين وسيئ الأخلاق.

شكر وتقدير

وفي الختام أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالشكر على ما منّ به عليّ من إتمام هذه الدراسة، وأدعوه جلت قدرته بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته، وأن يكتب له القبول، وأن يحقق بعض الفائدة المرجوة منه في إصلاح الفرد والمجتمع.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسهم معي في إخراج هذه الدراسة سواء بقراءتها وبيان بعض الملحوظات عليها، أو بتزويدي ببعض المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد حبيب الله، وفضيلة الدكتور عبد الصمد البرادعي، والأستاذ حامد بن وصل الله الحازمي، داعياً الله تعالى للجميع بالتوفيق والسداد وموفور الصحة والعافية.

وشكر خاص من أعماق قلبي لوالدتي الغالية - أطال الله تعالى في عمرها ومتعها بوافر الصحة والعافية - التي تمدني دائماً بدعائها الصالح، ولإخواني الأعزاء، وزوجي، وأولادي الذين هيئوا لي الجو المناسب وتنازلوا وتحملوا انشغالي عنهم بكتابة هذه الدارسة.

للجميع عميق شكري وتقديري ودعائي الخالص لهم ولكافة المسلمين بأن يوفقنا الله تعالى للعلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا هداة مهتدين صالحين مصلحين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم ما كان في هذه الدراسة من صواب فهو منك وحدك ولك الحمد في الأولى والآخرة، وما كان فيها من نقص وتقصير فهو من نفسي وضعفي البشري واستغفر الله العظيم من ذلك إنه هو الغفور الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم وعلومه.

١- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢- ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٥- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٦- أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٧- الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٨- البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٩- التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله، تفسير التستري، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٠- الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١١- الجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٢- الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٣- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٤- السعدي، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة دار الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ.
١٥- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ١٤٢١ هـ.
١٦- القشيري، تفسير القشيري، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٧- قطب، سيد، في ظلال القرآن، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

١٨- القرطبي، محمد أحمد، تفسير القرطبي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
١٩- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

ثانياً : السنة النبوية الشريفة وعلومها.

٢٠- ابن حنبل، أحمد، المسند، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٢١- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٢٢- أبو داود ، سليمان ابن الأشعث، سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٢٣- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٢٤- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٥- البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي بن عبد الله، شعب الإيمان، المكتبة الشاملة.

٢٦- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٧- الحاكم ، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢٨- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير ، ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢٩- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير ، ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٠- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

ثالثاً : الكتب التراثية والثقافية.

٣١- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٢- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد، بدائع السلك في طبائع الملك، الإصدار الثاني.

٣٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٤- أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس، البصائر الذخائر ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٥- الحازمي، عبد الرحمن بن سعيد، الذرية في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في شرق جدة، ١٤٢٨هـ.

٣٦- عياض، القاضي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٧- الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٨- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٩- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٤٠- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

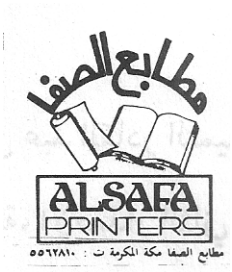
مطابع الصفا
ALSAFA
PRINTERS
مطابع الصفا مكة المكرمة ت : ٥٥٦٢٨١٠

السيرة الذاتية للمؤلف

البيانات الشخصية

الاســم : عبد الرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي

مكان وتاريخ الميلاد : ١٣٨٠هـ مكة المكرمة

الشهادات العلمية :

١ - الشهادة الابتدائية : مدرسة عمار بن ياسر بمكة المكرمة عام ١٣٩٢هـ.

٢ - الشهادة المتوسطة : مدرسة أم القرى المتوسطة بمكة المكرمة عام ١٣٩٥هـ.

٣ - الشهادة الثانوية : المدرسة التجارية بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ.

٤ - درجة البكالوريوس - جامعة الملك عبد العزيز بجدة - كلية الإقتصاد والإدارة تخصص إدارة عامة (انتساب) عام ١٤٠٢هـ.

٥ - درجة الماجستير - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية التربية - قسم الإدارة التربوية والتخطيط عام ١٤١٠هـ بتقدير عام امتياز - وعنوان الرسالة (دور الإرشاد الأكاديمي في تحقيق احتياجات الطلاب في الثانويات المطورة بمكة المكرمة).

٦ - درجة الدكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية التربية - قسم التربية الإسلامية والمقارنة - تخصص الأصول الإسلامية للتربية - عام ١٤٢١هـ بتقدير عام امتياز مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات ومراكز البحث العلمي. عنوان الرسالة : (التوجيه الإسلامي لأصول التربية).

الخبرات العلمية :

مارس العديد من الوظائف الإدارية في مطابع الحكومة ووزارة الحج والأوقاف سابقاً ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة اعتباراً من ١٤٢٤/٨/١هـ

الإنتاج العلمي :

١ - (التوجيه الإسلامي لأصول التربية). مطبوع

٢ - (الازدواجية في السلوك من منظور التربية الإسلامية). مطبوع

٣ - (الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية). مطبوع

٤ - الذرية في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام) مطبوع

٥ - (البشارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية) مطبوع

٦ - (أكثر الناس أوصافهم في القرآن الكريم والمضامين التربوية المستفادة من ذلك) مطبوع.

٧ - توجيهات تربوية من القرآن الكريم) (بحث مقدم لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر من الفترة ٢٢-٢٤ محرم ١٤٢٧هـ).

٨ - (إطلالة على جهد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في خدمة وتوعية الحجاج والمعتمرين والزوار).

٩ - بحث مشترك مقدم للملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة بجامعة طيبة من الفترة ٢٥-٢٧ صفر ١٤٢٩هـ.

١٠ - سلسلة مقالات بعنوان (التربية في القرآن الكريم). في جريدة الندوة.

١١ - مشاركات صحفية وإعلامية متنوعة.

رقم الإيداع : ١٤٣١/٣٢٤٩
ردمك : ١- ٤٩٣٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

مطابع الصفا - مكة ٥٥٦٤٨١٠